عبد القادر الجيلاني

فتوح الغيب ط العلمية

٥٦١ هـ

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٧٩٨١
الطابع الزمني: ٢٧-٥٥-٠٣-١٨-٠٤-٢٠٢٢
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

عن الكتاب

الكتاب: فتوح الغيب
(مطبوع ضمن سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار)
المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١ هـ)
المحقق: أحمد فريد المزيدي
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٨ م
عدد الأجزاء: ١
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]

عن المؤلف

عَبْد القَادِر الجِيلاني (٤٧١ - ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ - ١١٦٦ م)

عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي:

- مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين.
- ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها.

له كتب، منها:

- «الغنية لطالب طريق الحق - ط»
- «الفتح الرباني - ط»
- «فتوح الغيب - ط»
- «الفيوضات الربانية - ط»
- وللمستشرق مرجليوث الإنجليزي رسالة في ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسياوية الانكليزية.
- ولموسى بن محمد اليونيني كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني - خ»
- ولعلي بن يوسف الشطنوفي «بهجة الأسرار - ط» في مناقبه
- ولمحمد بن يحيي التاذفي «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر - ط»
- وترجم عبد القادر بن محيي الدين الإربلي عن الفارسية «تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر - ط».

نقلا عن: «الأعلام» للزركلي

١ مقدمة المؤلف

فتوح الغيب
لشيخ الإسلام عبد القادر بن موسى الجيلاني المتوفّى ٥٦١ ه
تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي
بسم الله الرّحمن الرّحيم
قال الشيخ عبد الرزاق ولد المؤلّف: قال والدي رضي الله تعالى عنه مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محيي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني الصديقي، ابن أبي صالح موسى جنكي دوست ابن الإمام عبد الله ابن الإمام يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيّدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب، نخر بني غالب، أمير المؤمنين سيّدنا عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، ورضي عنه وعنهم أجمعين آمين:
الحمد لله ربّ العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا عدد خلقه ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضا نفسه، وعدد كل شفع ووتر، ورطب ويابس في كتاب مبين، وجميع ما خلق ربنا وذرأ وبرأ، خالق بلا مثال أبدا سرمدا طيّبا مباركا، الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وأمات وأحيا، وأضحك وأبكى، وقرّب وأدنى، وأرحم وأخزى، وأطعم وأسقى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى. الذي بكلمته قامت السبع الشداد، وبها رست الرواسي والأوتاد واستقرت الأرض المهاد، فلا مقنوطا من رحمته ولا مأمونا من مكره وغيرته، وإنفاذ أقضيته وفعله وأمره، ولا مستنكفا عن عبادته، ولا مخلوّا من نعمته. فهو المحمود بما أعطى، والمشكور بما زوى، ثم الصلاة على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي من اتبع ما جاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى، النبي الصادق المصدوق الزاهد في الدنيا، الطالب الراغب في الرفيق الأعلى، المجتبى من خلقه، المنتخب من بريته، الذي جاء الحق بمجبته، وزهق الباطل بظهوره، وأشرقت الأرض بنوره.

٢ المقالة الأولى فيما لا بدّ لكل مؤمن

٣ المقالة الثانية في التواصي بالخير

ثم الصلوات الوافيات، والبركات الطيبات، الزاكيات المباركات عليه ثانيا وعلى آله الطيبين، وأصحابه والتابعين، لهم بإحسان، الأحسنين لربهم فعلا، الأقومين له قبلا. والأصوبين إليه طريقا وسبيلا، ثم تضرعنا ودعاؤنا ورجوعنا إلى ربنا، ومنشئنا وخالقنا ورازقنا، ومطعمنا ومسقينا، ونافعنا وحافظنا، وكالئنا ومحيينا. والذاب والدافع عنا جميع ما يؤذينا ويسوءنا، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله ومنته بالحفظ الدائم في الأقوال والأفعال في السر والإعلان. والإظهار والكتمان والشدّة والرخاء والنعمة والبأساء والضراء، إنه فعال لما يريد، الحاكم بما يشاء، العالم بما يخفى، المطلع على الشؤون والأحوال، من الزلاّت والطاعات والقربات، السامع للأصوات، المجيب للدعوات، لمن يشاء من غير تنازع ولا تردد.
أما بعد - فإن نعم الله على كثيرة متواترة، في آناء الليل وأطراف النهار والساعات، واللحظات الخطرات وجميع الحالات، كما قال عزّ وجلّ: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها} [إبراهيم: الآية ٣٤]، وقوله تعالى: {وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ} [النّحل: الآية ٥٣] فلا يدان لي ولا جنان ولا لسان في إحصائها وأعدادها، فلا يدركها التعداد ولا تضبطها العقول والأذهان، ولا يحصيها الجنان، ولا يعبرها اللسان. فمن جملة ما مكّن عن تعبيرها اللسان، وإظهارها الكلام وكتبها البنان، ويفسره البيان، وكلما برزت وظهرت لي من [فتوح الغيب] لخلت في الجنان، فأشعلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحال، فتولى إبرازها لطفل المنان، ورحمة الأنام في قالب صواب

المقال، لمريدي الحق والطلاب.
المقالة الأولى فيما لا بدّ لكل مؤمن
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: لا بد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه؛ وليحدث بها نفسه؛ ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله.
المقالة الثانية في التواصي بالخير
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا، ونزهوا الحق ولا تتهموا، وصدقوا ولا تشكوا، واصبروا ولا

٤ المقالة الثالثة في الابتلاء

تجزعوا واثبتوا ولا تنفروا، واسألوا ولا تسأموا، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا، وتواخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا، وتحابوا ولا تباغضوا، وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطخوا وبطاعة ربكم فتزينوا، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا، وبالتوبة فلا تسوفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا، فعلكم ترحمون وتسعدون، وعن النار تبعدون، وفي الجنة تحبرون، وإلى الله توصلون، وبالنعيم وافتضاض الأبكار في دار السلام تشتغلون وعلى ذلك أبدا تخلدون وعلى النجائب تركبون، وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبرون، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء الصالحين ترفعون.
المقالة الثالثة في الابتلاء
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إذا ابتلى العبد ببلية تحرك أولا في نفسه بنفسه، فإن لم يتخلص منها استعان من الخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباع الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع، فإن لم يجد في ذلك خلاصا رجع إلى ربه بالدعاء والتضرع والثناء، ما دام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق، وما دام يجد به عند الحق نصرة لم يرجع إلى الخالق، ثم إذا لم يجد عند الخالق نصرة استطرح بين يديه مديما للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء، ثم يعجز الخالق عزّ وجلّ عن الدعاء ولم يجيبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحا فقط، فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقنا موحدا ضرورة يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا شر ولا ضر ولا نفع ولا عطاء ولا منع ولا فتح، ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عز ولا ذل إلا بيد الله فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الظئر والميت الغسيل في يد الغاسل والكرة في صولجان الفارس يقلب ويغير ويبدل، ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه، فلا يرى غير مولاه وفعله، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع، وعلم، فلكلامه سمع، ولعلمه علم، وبنعمته تنعم، وبقربه تسعد، وبتقريبه تزين وتشرف، وبوعده طاب وسكن، وبه اطمأن، وبحديثه أنس، وعن غيره استوحش ونفر، وإلى ذكره التجأ وركن، وبه عزّ وجلّ وثق وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل، وعلى

٥ المقالة الرابعة في الموت المعنوي

٦ المقالة الخامسة في بيان حال الدنيا والحثّ على عدم الالتفات إليها

غرائب علومه اطلع، وعلى أسرار قدرته أشرف، ومنه سمع ووعى، ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا.
المقالة الرابعة في الموت المعنوي

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى، وإذا مت عن هواك قيل لك رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك، وإذا مت عن الإرادة قيل لك رحمك الله وأحياك حياة لا موت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطى عطاء لا منع بعده، وتراح براحة لا شقاء بعدها، وتنعم بنعمة لا بؤس بعدها، وتعلم علما لا جهل بعده، وتؤمن أمنا لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتعز فلا تذل، وتقرب فلا تبعد، وترفع فلا توضع، وتعظم فلا تحقر، وتطهر فلا تدنس، لتحقق فيك الأماني، وتصدق فيك الأقاويل، فتكون كبريتا أحمر فلا تكاد ترى، وعزيزا فلا تماثل، وفريدا فلا تشارك، وحيدا فلا تجانس، فردا بفرد ووترا بوتر، وغيب الغيب، وسر السر، فحينئذ تكون وارث كل نبي وصديق ورسول بك تختم الولاية. وإليك تصور الأبدال وبك تنكشف الكروب، وبك تسقى الغيوث، وبك تنبت الزروع، وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعي بها والرعايا، والأئمة والأمة وسائر البلايا، فتكون شحنة البلاد والعباد، فتنطلق إليك الرجل بالسعي، والوجال والأيدي بالذل والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال، والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء وجميع المجال، ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيمان، يا خير من سكن البراري وجال بها {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)} [الجمعة: الآية ٤].

المقالة الخامسة في بيان حال الدنيا والحثّ على عدم الالتفات إليها

قال رضي الله عنه وأرضاه: إذا رأيت الدنيا في يدي أربابها بزينتها وأباطيلها وخدعها ومصائدها وسمومها القتالة، مع لين مس ظاهرها، وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها، وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن وليها وغيرها بأهلها ونقض عهدها، فكن كمن رأى إنسانا على الغائط بالبراز بادية سوأته وفائحة رائحته، فإنك تغض بصرك عن سوأته، وتسد أنفك من رائحته ونتنه، فهكذا كن في الدنيا. إذا رأيتها غض

٧ المقالة السادسة في الفناء عن الخلق

بصرك عن زينتها. وسدّ أنفك عما يفوح من روائحها وشهواتها ولذاتها، فتنجو منها ومن آفاتها ويصل إليك قسمك منها وأنت مهنأ، قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم: {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى (١٣١)} [طه: الآية ١٣١].

المقالة السادسة في الفناء عن الخلق

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «افن عن الخلق بإذن الله تعالى، وعن هواك بأمر الله {فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: الآية ٢٣] وعن إرادتك بفعل الله تعالى، وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى، فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع ودفع الضر فلا تحرك فيك ولا تتعمد عليك لك ولا تذب عنك ولا تنفر نفسك، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولا فيتولاه آخرا، كما كان ذلك موكولا إليه في حال كونك مغيبا في الرحم، وكونك رضيعا طفلا في مهدك وعلامك فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مرادا قط، ولا يكون لك غرض، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام، فإنك لا تريد مع إرادة الله سواها، بل يجري فعل الله فيك، فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنيّا عن الأشياء بخالقها، تقلبك يد القدرة، ويدعوك لسان الأزل، ويعلمك رب الملل، ويكسوك أنوارا منه والحلل، وينزلك من أولى العلم الأول. فتكون منكسرا أبدا. فلا يثبت فيك شهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع وكدر، فتنقى عن أخلاق البشرية. فلن يقبل باطنك شيئا غير إرادة الله عزّ وجلّ، فحينئذ يضاف إليك التكوين وحرق العادات، فيرى ذلك منك في ظاهر الفعل والحكم، وهو فعل الله وإرادته حقّا في العالم، فتدخل في زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حبب إلي من دنيا كم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة» فأضيف ذلك بعد أن خرج

منه وزال عنه تحقيقا بما أشرنا، وتقدم. قال الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»، فإن الله تعالى لا يكون عندك حتى تنكر جملة هواك وإرادتك، فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شيء أنشأك الله فجعل فيك

٨ المقالة السابعة في إذهاب غمّ القلب

إرادة، فتزيد بتلك الإرادة، فإذا صرت في تلك الإرادة المنشأة فيك كسرها الرب تعالى بوجودك فيها، فتكون منكسر القلب أبدا، فهو لا يزال يجد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيحصل اللقاء، فهذا هو معنى «عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك وطمأنينتك إليها. قال الله تعالى في حديثه القدسي، الذي يرويه صلى الله عليه وسلم: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش به، ورجله التي يمشي بها» وفي لفظ آخر: «فبي يسمع، وبي يبطش، وبي يعقل» وهذا إنما يكون في حالة الفناء لا غير، فإذا فنيت عنك وعن الخلق، والخلق إنما هو خير وشر، وكذلك أنت خير وشر. فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقي الله وحده كما كان، ففي قدر الله خير وشر، فيؤمنك من شره ويغرقك في بحار خيره، فيكون وعاء كل خير، ومنبعا لكل نعمة وسرور وحبور وضياء وأمن وسكون، فالفناء والمنى والمبتغى والمنتهى حد ومرد ينتهي إليه مسير الأولياء، وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عزّ وجلّ، فيريدون بإرادة الحق أبدا إلى الوفاء، فلهذا سموا أبدالا رضي الله عنهم، فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم، إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة، عصموا عن الإرادة، والأنبياء عصموا عن الهوى، وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى، والأبدال عن الإرادة، ولا يعصمون منهما على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان، ثم يتداركهم الله عزّ وجلّ باليقظة برحمته.

المقالة السابعة في إذهاب غمّ القلب

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: اخرج من نفسك وتنح عنها، وانعزل عن ملكك وسلّم الكل إلى الله، فكن بوابه على باب قلبك، وامتثل أمره في إدخال من يأمرك بإدخاله، وانته بنهيه في صد من يأمرك بصده، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه، فإخراج الهوى من القلب بمخالفته، وترك متابعته في الأحوال كلها،

وإدخاله في القلب بمتابعته ومواقاته، فلا ترد إرادة غير إرادته وغير ذلك منك تمن وهو وادي الحمقاء، وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابك عنه، احفظ أبدا أمره، وانته أبدا نهيه وسلم أبدا لمقدره، ولا تشركه بشيء من خلقه، فإرادتك وهواك وشهواتك كلها خلقه، فلا ترد ولا تهو ولا تشته كيلا تكون مشركا. قال الله تعالى: {فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: الآية ١١٠] ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب، بل هو متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئا سواه من الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها، فما سواه عزّ وجلّ غيره، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عزّ وجلّ غيره، فاحذر ولا تركن، وخف ولا تأمن وفتش، فلا تغفل فتطمئن، ولا تضف إلى نفسك حالا ولا مقاما، ولا تدع شيئا من ذلك، فإن أعطيت حالا أو أقمت في مقام فلا تختر شيئا واحدا من ذلك، فإن الله كل يوم هو في شأن، في تغيير وتبديل، وأنه يحول بين المرء وقلبه، فيزيلك عما أخبرت به، ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه، فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كل الثبات والبقاء، فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واستر رؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأدب. قال الله عزّ وجلّ: {*ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَاتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)} [البقرة: الآية ١٠٦] فلا تعجز الله في قدرته، ولا تتهمه في تقديره ولا تدبيره، ولا تشك في وعده، فليكن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة،

نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعمولة بها المقروءة في المحاريب المكتوبة في المصاحف، ورفعت وبدلت وأثبت غيرها مكانها، ونقل صلى الله عليه وسلم إلى غيرها، هذا في ظاهر الشرع، وأما في الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ فكان يقول: «إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة» ويروى «مائة مرة» وكان صلى الله عليه وسلم ينقل من حالة إلى أخرى ويسير به في منازل القرب وميادين الغيب، ويغير عليه خلع الأنوار، فتبين الحالة الأولى عند ثانيها ظلمة ونقصانا وتقصيرا في حفظ الحدود، فيلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد، والتوبة في سائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره، وهما صفتا العبد في سائر الأحوال، فهما وراثة من أبي البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اعتورت صفاء حالة ظلمة النسيان للعهد والميثاق، وإرادة الخلود في دار السلام، ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام عليه بالتحية والسلام، فوجدت هناك نفسه مشاركة إرادته لإرادة الحق، فانكسرت

٩ المقالة الثامنة في التقرّب إلى الله

لذلك تلك الإرادة، وزالت تلك الحلة، وانعزلت تلك الولاية، فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء، ثم تنبه وذكر صفي الرحمن، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان، ولقن الإقرار فقال: {رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ} [الأعراف: الآية ٢٣]، فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائبا من قبل، فلم تظهر إلا بها، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى، وجاءته الولاية الكبرى والسكون في الدنيا ثم في العقبى، فصارت الدنيا له ولذريته منزلا، والعقبى لهم موئلا ومرجعا وخلدا، فلك برسول الله وحبيبه المصطفى وأبيه آدم صفي الله عنصر الأحباب والأخلاء أسوة في الاعتراف بالقصور والاستغفار في الأحوال كلها.

المقالة الثامنة في التقرّب إلى الله

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إذا كنت في حالة لا تختر غيرها أعلى منها، ولا أدنى، فإذا كنت على باب دار الملك لا تختر الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبرا لا اختيارا، وأعني بالجبر أمرا عنيفا متأكدا متكررا، ولا تكتف بمجرد الإذن في الدخول، لجواز أن يكون ذلك مكرا وخديعة من الملك، ولكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبرا محضا وفضلا من الملك، فحينئذ لا يعاقبك الملك على فعله، إنما تتعرض العقوبة لك لشؤم تخيرك وشرهك، وقلة صبرك وسوء أدبك، وترك الرضى بحالتك التي أقمت فيها، فإذا حصلت فكن مطرقا غاضا لبصرك متأدبا، محافظا لما تؤمر به من الشغل والخدمة فيها غير طالب للترقي إلى الذروة العليا. قال الله عزّ وجلّ: {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى (١٣١)} [طه: الآية ١٣١]، فهذا تأديب منه عزّ وجلّ لنبيه المختار صلى الله عليه وسلم في حفظ الحال والرضا بالعطاء بقوله: {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى} [طه: الآية ١٣١]، أي ما أعطيتك من الخير والنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين والغزوة فيه أولى مما أعطيت غيرك وأحرى، فالخير كله في حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ما سواها، أو أنه لا يخلو إما أن يكون قسمك أو قسم غيرك، أو أنه لا قسم لأحد بل أوجده الله فتنة، فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلا ينبغي أن يظهر منك سوء الأدب والشره في طلبه «فإن ذلك غير

١٠ المقالة التاسعة في الكشف والمشاهدة

محمود في قضية العلم والعقل، وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما تناوله ولا يصل إليك أبدا، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى العاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها، فقد ثبت أن الخير كله والسلامة في حفظ الحال فإذا رقيت إلى

الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفظ والإطراق والأدب، بل يتضاعف ذلك منك، لأنك أقرب إلى ظلك وأدنى بالخطر، فلا تمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى، ولإثباتها وبقاءها، ولا تغير وصفها وأنت فيها، ويكون لك في ذلك اختيار ألبتة. فإن ذلك كفر في نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان في الدنيا والآخرة فاعمل على ما ذكرنا أبدا حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاما تقام فيه فلا تزال عنه» فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها ودليلها فتمسكه ولا تزل، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال، والله يتولى هداك.

المقالة التاسعة في الكشف والمشاهدة

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: يكشف للأولياء والأبدال في أفعال الله ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهي على قسمين جلال وجمال، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج، والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح، كما روى النبي صلى الله عليه وسلم: «كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف» لما يرى من جلال الله عزّ وجلّ وينكشف له من عظمته، ونقل مثل ذلك عن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق رضي الله عنه.

أما مشاهدة الجمال: فهي تحلي القلوب بالأنوار والسرور والألطاف، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية، والقرب منه عزّ وجلّ مما سيؤول أمرهم إلى الله، وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلا منه ورحمة، وإثباتا منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور، لئلا يفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم. فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل ذلك بهم لطفا منه ورحمة ومداواة، وتربية لقلوبهم ومداراة لها إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] لطيف بهم، ﴿رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ [التّوبة: الآية ١٢٨] ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان

١١ المقالة العاشرة في النفس وأحوالها

يقول لبلال المؤذن رضي الله عنه: «أرحنا يا بلال بالإقامة، لندخل في الصلاة» لمشاهدة ما ذكرنا من الحال، ولهذا قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»».

المقالة العاشرة في النفس وأحوالها

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب والنفس ضد الله وعدوه، والأشياء كلها تابعة لله، والنفس لله خلقا وملكا، وللنفس ادعاء وتمن وشهوة ولذة بملابستها، فإذا وافقت الحق عز وجل في مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصما على نفسك كما قال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام: «يا داود أنا بدك اللازم فالزم بدك. العبودية أن تكون خصما على نفسك» فتحققت حينئذ موالاتك وعبوديتك لله عزّ وجلّ، وأتتك الأقسام هنيئا مريئا مطيبا وأنت عزيز ومكرم، وخدمتك الأشياء وعظمتك ونفمتك، لأنها بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها، وهي مقرة له بالعبودية. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]، ﴿فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾ [فصّلت: الآية ١١]، فالعبادة كل العبادة في مخالفة نفسك. قال الله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِـعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [ص: الآية ٢٦]، وقال لداود عليه السلام: «اهجر هواك فإنه منازع»».

والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله لما رأى رب العزة في المنام فقال له كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك وتعال، فقال: فانسلحت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، فإذا الخير كله في معاداتها في الجملة والأحوال كلها، فإن كنت في حال التقوى نخالف النفس، بأن تخرج من حرام الخلق وشبههم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة بهم والخوف منهم، والرجال لهم والطمع فيما عندهم من أحكام الدنيا، فلا تبرح عطاياهم على طريق الهداية والزكاة والصدقة أو النذر، فاقطع همك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى

إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله، فاخرج من الخلق جدّا واجعلهم كالباب يرد ويفتح، وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتختل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جل وعلا، لتكون موحدا للرب، ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية، واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدهم وتنسى الله، ولا تقل فعلهم دون الله فتكفر فتكون قدريّا، لكن قل هي لله خلقا وللعباد كسبا كما جاءت به الآثار، لبيان موضع

الجزاء من الثواب والعقاب، وامتثل أمر الله فيهم، وخلص قسمك منهم بأمره ولا تجاوزه فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم، فلا تكن أنت الحاكم، وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا تخرج عنهما فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن نلهم بالزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي، فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به، واقطع بأنه الشيطان اللعين وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل أو الشرب أو اللبس أو النكاح فاهجر أيضا ولا تقبله، واعلم أنه من إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها وإن لم تجد في الكتاب والسنة تحريمه وإباحته، بل هو أمر لا تعقله مثل السائق لك، ائت موضع كذا وكذا، الق فلانا صالحا، ولا حاجة لك هناك ولا في الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمته من العلم والمعرفة، فتوقف في ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا إلهام من الحق جل وعلا فاعمل به بل انتظر الخير كله في ذلك وفعل الحق عزّ وجلّ بأن ينكر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعي، أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عزّ وجلّ يعقلها العقلاء من الأولياء والمؤيدون من الأبدال، وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته وما يتول الأمر إليه، وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عزّ وجلّ الفاعل فيك، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولا محفوظا فيها، لأن الله لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك في الشيء، وإن كنت في حالة الحقيقة وهي حالة الولاية تخالف هواك واتبع الأمر في الجملة.

واتباع الأمر على قسمين: أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذي هو حق النفس وتترك الحظ، وتؤدي الفرض وتشتغل بترك الذنوب ما ظهر منها وما بطن.

والقسم الثاني ما كان بأمر باطن، وهو أمر الحق عزّ وجلّ، يأمر عبده وينهاه، وإنما يتحقق بهذا الأمر في المباح الذي ليس له حكم في الشرع على معنى ليس من قبيل النهي ولا من قبيل الأمر الواجب، بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمي مباحا فلا يحدث العبد فيه شيئا من عنده بل ينتظر الأمر فيه، فإذا أمل امتثل فتصير حركاته وسكناته بالله عزّ وجلّ ما في الشرع حكمه فبالشرع وما ليس له حكم في الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محقّا من أهل الحقيقة، وما ليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حالة التسليم.

وإن كنت في حالة حق الحق وهي حالة المحو والفناء

١٢ المقالة الحادية عشرة في الشهوة

١٣ المقالة الثانية عشرة في النهي عن حبّ المال

وهي حالة الأبدال المنكسري القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام. فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبري من الحول والقوة. وأن لا يكون لك إرادة وهمة في شيء البتة دنيا وعقبى. فتكون عبد الملك لا عبد الملك وعبد الأمر لا عبد الهوى. كالطفل مع الظئر. والميت الغسيل مع الغاسل، والمريض المقلوب على جنبيه بين يدي الطبيب فيما سوى الأمر والنهي، والله أعلم.

المقالة الحادية عشرة في الشهوة

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: وإذا ألقيت عليك شهوة النكاح في حالة الفقر وعجزت عن مؤنته فصبرت عنه منتظر الفرج من

الباري عزّ وجلّ، إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التي ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحيويتك عن حمل مؤنتها أيضا أو بإيصالها إليك موهبة مهنئا مكفيا من غير ثقل في الدنيا ولا تعب في العقبى، وسماك الله عزّ وجلّ صابرا شاكرا لصبرك عنها راضيا بقسمته فزادك عصمة وقوة. فإن كانت قسما لك ساقها إليك مكفيا مهنئا فينقلب الصبر شكرا، وهو عزّ وجلّ وعد الشاكرين بالزيادة في العطاء. قال عزّ وجلّ: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: الآية ٧].

وإن لم تكن قسما لك فالغنى عنها بقلعها من القلب إن شاءت النفس أو أبت، فلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء، وارج بذلك الفضل والعطاء، وقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزّمر: الآية ١٠].

المقالة الثانية عشرة في النهي عن حبّ المال

قال رضي الله عنه وأرضاه: إذا أعطاك الله عزّ وجلّ مالا فاشتغلت به عن طاعتك حجبك به عنه دنيا وأخرى، وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله لك موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادمك وأنت خادم المولى، فتعيش في الدنيا مدللا وفي العقبى مكرما مطيبا في جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين.

١٤ المقالة الثالثة عشرة في التسليم لأمر الله

المقالة الثالثة عشرة في التسليم لأمر الله

قال رضي الله عنه: لا تختر جلب النعماء ولا دفع البلوى فالنعماء إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت أو تجلدت لرضى المولى، بل سلم في الكل، فيفعل الفعل فيك، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر، أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ما تعطي من الحالات وتنقل فيها. وما تسير في المنازل في طريق المولى الذي أمرت بطاعته والموالاة. لتصل إلى الرفيق الأعلى، فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين، لتعاين من سبقك إلى المليك ومنه دنا. ووجد عنده كل طريقة وسرورا وأمنا. وكرامة ونعما.

دع البلية تزورك. خل من سبيلها، ولا تقف ولا تجزع من مجيئها وقربها. فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى. فقد ثبت في الخبر المروي عن خير البرية. وخير من حملته الأرض وأظلته السماء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن نار جهنم تقول للمؤمن جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» فهل كان نور المؤمن الذي أطفأ لهب النار في لظى إلا الذي صحبه في الدنيا الذي لمن يمر بها من أطاعها وعصى، فليطفىء هذا النور لهب البلوى، ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ما حل بك من ذلك ومنك دنا. فالبلية لم تأتك لتهلكك، لكنها تأتيك لتجربك وتحقق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك ويبشرك باطنها مع مولاك بمباهاته بك. قال الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ (٣١)} [محمّد: الآية ٣١]، فإذا ثبت مع الحلق إيمانك ووافقته في فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنة، فكن حينئذ أبدا صابرا موافقا مسلما لا تحدث فيك ولا في غيرك حادثة ما خرج عن الأمر والنهي، فإذا كان أمره عزّ وجلّ فتسامع وتسارع وتحرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل، بل ابذل طوقك ومجهودك لتؤدي الأمر، فإن عجزت فدونك الالتجاء إلى مولاك عزّ وجلّ، فالتجىء إليه وتضرع واعتذر، وفتش عن سبب عجزك عن أداء أمره وصدّك عن التشوّق لطاعته لعل ذلك لشؤم دعائك وسوء أدبك في طاعته، ورعونتك واتكالك على حولك وقوتك، وإعجابك بعلمك وشركك إياك بنفسك وخلقه، فصدك عن بابه، وعزلك عن طاعته وخدمته، وقطع عنك مدد

توفيقه، وولى عنك وجهه الكريم، ومقتك وقلاك، وشغلك ببلائك دنياك وهواك، وإرادتك ومناك.

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك، وقاطعك عن عين الذي خلقك ورباك، وخولك وأعطاك وحياك.

احذر لا يلهيك عن مولاك غيره مولاك، وكل من سوى مولاك غيره، فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك له، فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره

عن أمره فيدخلك النار التي وقودها الناس والحجارة فتندم، فلا ينفعك الندم، وتعتذر فلا تعذر، وتستعتب فلا تعتب، وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع.
ارحم نفسك وأشفق عليها، واستعمل الآلات والأدوات التي أعطيتها في طاعة مولاك من الفعل والإيمان والمعرفة والعلم.
استضىء بنورها في ظلمات الأقدار، وتمسك بالأمر والنهي، وسيرهما في طريق مولاك وسلم ما سواهما إلى الذي خلقك وأنشأك، فلا تكفر بالذي خلقك من تراب ورباك، ثم من نطفة ثم رجلا سوّاك، ولا ترد غير أمره، ولا تكره غير نهيه.
اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكروه، فكل ما يراد تبع لهذا المراد، وكل مكروه تبع لهذا المكروه.
إذا كنت مع أسرة كانت الأكوان في أمرك، وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت وحللت.
قال الله عزّ وجلّ في بعض كتبه: «يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون». وقال عزّ وجلّ: «يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فأتعبيه»، فإذا جاء نهيه عزّ وجلّ فكن كأنك مسترخي المفاصل، مسكن الحواس، مضيق الذرع، متماوت الجسد زائل الهوى، منطمس الوسوم، منمحي الرسوم، منسي الأثر مظلم القنا، متهدم البناء، خاوي البيت، ساقط العرش، لا حس ولا أثر، فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطموس، وشفتاك كأن بهما قرحة وبثورا، ولسانك كأن به خرسا وكلولا وأسنانك كأن بهما ضريانا وألما نشورا، ويداك كأن بهما شللا وعن البطش قصورا، ورجلاك كأن بهما رعدة وارتعاشا وجروحا، وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولا، وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى، وعقلك كأنك مجنون

١٥ المقالة الرابعة عشرة في اتباع أحوال القوم

١٦ المقالة الخامسة عشرة في الخوف والرجاء

ومخبول، وجسدك كأنك ميت وإلى القبر محمول، فالتسامع والتسارع في الأمر، والتقاعد والتجاهد والتقاصر في النهي، والتماوت والتعادم والتفاني في القدر، فاشرب هذه الشربة، وتداو بهذا الدواء، وتغذ بهذا الغذاء تنجح وتشفى، وتعافى من أمراض الذنوب وعلل الأهواء، بإذن الله تعالى إن شاء الله.
المقالة الرابعة عشرة في اتباع أحوال القوم
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: لا تدع حالة القوم يا صاحب الهوى أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى، أنت رغبتك في الدنيا ورغبة القوم في العقبى، أنت ترى الدنيا وهم يرون رب الأرض والسماء، وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بالحق، أنت قلبك متعلق بمن في الأرض وقلوب القوم برب العرش، أنت يصطادك من ترى وهم لا يرون من ترى، بل يرون خالق الأشياء وما يرى، فاز القوم به وحصلت لهم النجاة، وبقيت أنت مرتهنا بما تشتهي من الدنيا وتهوى، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى، فأرفقهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والحمد والثناء {ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [المائدة: الآية ٥٤] فلازموا ذلك وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء، فصارت الطاعة لهم روحا وغذاء، وصارت الدنيا إذ ذاك في حقهم نقمه وخزيا، فكأنها لهم جنة المأوى إذ ما يرون شيئا من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذي خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء، وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم أوتادا للأرض التي دحى، فكن كالجبل الذي رسا، فتنح عن طريقهم ولا تزاحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء، فهم خير من خلق ربي وبث في الأرض وذرأ، فعليهم سلام الله وتحياته ما دامت الأرض والسماء.
المقالة الخامسة عشرة في الخوف والرجاء
قال قدّس سرّه العزيز: رأيت في المنام كأني في موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون، فقلت: لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم،

فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولي فقال واحد منهم: فأنت لأي شيء لا تتكلم؟ فقلت: إن رضيتموني لذلك، ثم قلت: إذا انقطعتم من الخلق إلى الحق فلا تسألوا الناس

١٧ المقالة السادسة عشرة في التوكّل ومقاماته

شيئا بألسنتكم، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان.
ثم اعلموا أن الله كل يوم هو في شأن، في تغيير وتبديل ورفع وخفض، فقوم يرفعهم إلى عليين، وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين، ورجاؤهم أن يبقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع. وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين، أن يبقيهم ويخلدهم على ما هم فيه من الحط، ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين، ثم انتبهت.
المقالة السادسة عشرة في التوكّل ومقاماته
قال رضي الله عنه: ما حجبت عن فضل الله والبدء بنعمه إلا لاتّكالك على الخلق والأسباب، والصنائع والاكتساب، فالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب، فما دمت قائما مع الخلق راجيا لعطاياهم وفضلهم سائلا لهم مترددا إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة الذي هو الكسب من حلال الدنيا، ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشركك بربك عزّ وجلّ إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب عزّ وجلّ، فأنت مشرك أيضا، إلا أنه شرك خفي أخفى من الأول، فيعاقبك الله عزّ وجلّ ويحجبك عن فضله والبداءة به، فإذا تبت عن ذلك وأزلت الشرك عن الوسط، ورفعت اتكالك عن الكسب والحول والقوة، ورأيت الله عزّ وجلّ هو الرزاق، وهو المسبب والمسهل والمقوي على الكسب، والموفق لكل خير، والرزق بيده تارة يواصلك به بطريق الخلق على وجه المسألة لهم في حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك له عزّ وجلّ، وأخرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الواسطة والسبب، فرجعت إليه واستطرحت بين يديه، رفع الحجاب بينك وبين فضله. وباداك وغذاك بفضله، عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك، كفعل الطبيب الشفيق الرفيق الحبيب للمريض حماية منه عزّ وجلّ، وتنزيها لك عن الميل إلى من سواه، يرضيك بفضله، فإذا ينقطع عن قبلك كل إرادة وكل شهوة ولذة ومطلوب ومحبوب، فلا يبقى في قلبك سوى إرادته عزّ وجلّ، فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذي لا بد من تناوله وليس هو رزقا لأحد من خلقه سواك، أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه إليك، فيواصلك به عند الحاجة، ثم يوفقك ويعرفك أنه منه

١٨ المقالة السابعة عشرة في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

وهو سائقه إليك ورازقه لك، فتشكره حينئذ وتعرف وتعلم، فيزيدك خروجا من الخلق وبعدا من الأيام وأخليت الباطن عما سواه عزّ وجلّ. ثم إذا قوي علمك ويقينك، وشرح صدرك ونور قلبك، وزاد قربك من مولاك ومكانتك لديه عنده، وأهليتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإجلالا لحرمتك فضلا منه ومنة وهداية، قال الله عزّ وجلّ: {وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (٢٤)} [السّجدة: الآية ٢٤]، وقال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا} [العنكبوت: الآية ٦٩]، وقال تعالى: {وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ} [البقرة: الآية ٢٨٢]. ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذي هو لا غبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة، وبكلامه اللذيذ الذي هو ألذ من كل لذيذ، وإلهام صدق من غير تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين.
قال الله تعالى في بعض كتبه: «يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون» وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بني آدم.

المقالة السابعة عشرة في كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد
قال رضي الله تعالى عنه: إذا وصلت إلى الله وقربت بتقريبه وتوفيقه. ومعنى الوصول إلى الله عزّ وجلّ خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى، والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا في خلقه بك، بل بحكمه وأمره، وفعله فهي حالة الفناء يعبر عنها بالوصول، فالوصول إلى الله عزّ وجلّ ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشّورى: الآية ١١] جلّ الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته، فالواصل إليه عزّ وجلّ معروف عند أهل الوصول بتعريفه عزّ وجلّ لهم كل واحد على حدة لا يشاركه فيه غيره، وله عزّ وجلّ مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غيره، حتى أنه قد يكون للمريد سر لا يطلع عليه شيخه، وللشيخ سر لا يطلع عليه مريده الذي قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه، فيتولاه الحق عزّ وجلّ فيفطمه عن الخلق جملة، فيكون الشيخ كالظئر
والداية، لإرضاع بعد الحولين، ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة. الشيخ يحتاج إليه ما دام ثم هوى وإرادة لكسرهما، وأما بعد زوالهما فلا، لأنّه لا كدورة ولا نقصان. فإذا وصلت إلى الحق عزّ وجلّ على ما بينا فكن آمنا أبدا من سواه عزّ وجلّ فلا ترى لغيره وجودا البتة، لا في الضر ولا في النفع، ولا في العطاء ولا في المنع، ولا في الخوف ولا في الرجاء، هو عزّ وجلّ أهل التقوى وأهل المغفرة، فكن أبدا ناظرا إلى فعله مترقبا لأمره، مشتغلا بطاعته، مباينا عن جميع خلقه دنيا وأخرى.
لا تعلق قلبك بشيء منهم واجعل الخليفة أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه شديد أمره، مهولة صولته وسطوته، ثم جعل الغل في رقبته مع رجليه، ثم صلبه على شجرة الأذرة على شاطىء نهر عظيم موجه، فسيح عرضه، عميق غوره، شديد جريه، ثم جلس السلطان على كرسيه، عظيم قدره، عال سماؤه، بعيد مرامه ووصوله، وترك إلى جنبه أحمالا من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسى ومما لا يبلغ قدرها غيره، فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح، فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه، أليس من فعل ذلك يسمى في قضية العقل عديم العقل والحس مجنونا. بهيمة إنسان؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة، ومن القطيعة بعد الوصول، ومن الصدود بعد الدنو والقرب، ومن الضلالة بعد الهداية، ومن الكفر بعد الإيمان. فالدنيا كالنهر العظيم الجاري الذي ذكرناه كل يوم في زيادة ماء وهي شهوات بني آدم ولذاتهم فيها، والدواهي التي تصيبهم منها. وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التي يجري بها القدر إليهم، فالغالب على بني آدم في الدنيا البلايا والنفع والآلام والمحن، وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا في الآخرة إن كان مؤمنا، لأن ذلك خصوصا في حق المؤمن. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا عيش إلا عيش الآخرة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه» ذلك في حق المؤمنين، وقال صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقال عليه الصلاة والسلام: «التّقى ملجم» فمع هذه الأخبار والعيان كيف يدّعى طيب العيش في الدنيا. فالراحة كل الراحة في الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ وموافقته، والاستطراح بين يديه، فيكون العبد بذلك خارجا عن الدنيا، فحينئذ يكون الدلال رأفة ورحمة ولطفا وصدقة وفضلا، والله أعلم.

١٩ المقالة الثامنة عشرة في النهي عن الشكوى

المقالة الثامنة عشرة في النهي عن الشكوى
قال رضي الله عنه: الوصية لا تشكونّ إلى أحد ما نزل بك من بلاء كائنا من كان صديقا أو عدوّا ولا تتهمنّ الرب عزّ وجلّ فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء، بل أظهر الخير والشكر، فكذبك بإظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك في إخبارك جلية الحال بالشكوى، من الذي خلا من نعمة الله عزّ وجلّ؟ قال الله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها} [إبراهيم: الآية ٣٤] فكم

من نعمة عندك وأنت لا تعرفها؟ لا تسكن إلى أحد من الخلق، ولا تستأنس به، ولا تطلع أحد على ما أنت فيه، بل يكون أنسك بالله عزّ وجلّ وسكونك إليه وشكواك منه إليه لا ترى ثانيا، فإنه ليس لأحد ضر ولا نفع، ولا جلب ولا دفع، ولا عز ولا ذل، ولا رفع ولا خفض، ولا فقر ولا غنى، ولا تحريك ولا تسكين، الأشياء كلها خلق الله عزّ وجلّ بيد الله عزّ وجلّ، بأمره وإذنه جريانها، {وَكُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى} [الرعد: الآية ٢، فاطر: الآية ١٣، الزمر: الآية ٥]، {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ} [الرعد: الآية ٨]، لا مقدم لما أخّر، ولا مؤخّر لما قدّم، قال الله عزّ وجلّ: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)} [يونس: الآية ١٠٧] فإن شكوت منه عزّ وجلّ وأنت معافى وعندك نعمة طالبا للزيادة وتعاميا عن ما له عندك من النعمة والعافية استهزاء بها، غضب عليك وأزالهما عنك، وحقق شكواك، وضاعف بلواك، وشدد عقوبتك ومقتك وقلاك، وأسقطك من عينه، احذر الشكوى جدّا ولو قطّعت وقرض لحمك بالمقاريض.

إياك إياك ثم إياك، الله الله ثم الله، النجاة النجاة، الحذر الحذر، فإن أكثر ما ينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربه عزّ وجلّ (١). كيف يشتكي منه عزّ وجلّ {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: الآيتان ٦٤ و٩٢]، {وَخَيْرُ الْحاكِمِينَ} [الأعراف: الآية ٨٧]، {حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: الآية ١]، {رَؤُفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: الآيتان ١١٧ و١٢٨،

١) رواه الربيع في «مسنده» (١/ ٣٧٦)، والبزار في البزار (١/ ٤١٢)، وعبد بن حميد في مسنده (١/ ١٨٧)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٣٢).

النور: الآية ٢٠، الحشر: الآية ١٠]، {لَطِيفٌ بِعِبادِهِ} [الشورى: الآية ١٩]، {وَلَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [آل عمران: الآية ١٨٢، الأنفال: الآية ٥١، الحج: الآية ١٠]، كطبيب حكيم، حبيب شفيق، لطيف وقريب، هل تتهم الوالدة الرحيمة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها» (١). أحسن الأدب يا مسكين، تصبر عند البلاء إن ضعفت عن الصبر، ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة. ثم ارض ووافق إن وجدت، ثم افن إذا فقدت. أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى؟ أما تسمع إلى قوله عزّ وجلّ: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦)} [البقرة: الآية ٢١٦] طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه، فلا تسيء الأدب فتكره بك أو تحب بك، بل اتبع الشرع في جميع ما ينزل بك إن كنت في حالة التقوى التي هي القدم الأولى، واتبع الأمر في حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهي القدم الثانية، وارض بالفعل ووافق، وافن في حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية، وهي المنتهى. تنح عن طريق القدر، خل عن سبيله، رد نفسك وهواك، كف لسانك عن الشكوى، فإذا فعلت ذلك، إن كان خيرا زادك المولى طيبة وسرورا ولذة، وإن كان شرّا حفظك في طاعته فيه، وأزال عنك الملامة، وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك، ويرحل عند انقضاء أجله، كما ينقضي الليل فيسفر عن النهار، والبرد في الشتاء فيسفر عن الصيف، ذلك أنموذج عندك، فاعتبر بهم، ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصي والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلاّت، ولا يقبل على سدته إلا طيبا من درن الدعاوى والوهوسات، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ، فالبلايا مكفّرات مطهّرات قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حمي يوم كفارة سنة» (٢) صدق صلى الله عليه وسلم.

١) أورده العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٤٠) وقال: «قال في المقاصد: رواه القضاعي في مسنده عن ابن مسعود مرفوعا في حديث: بلفظ حمى ليلة تكفر خطايا سنة وله شاهد» رواه ابن أبي الدرداء موقوفا، بلفظ...» «حمى ليلة كفارة سنة» ورواه تمام في فوائده عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه بلفظ الترجمة، وزاد حمى يومين كفارة سنتين، وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين، ولابن الدنيا عن الحسن مرسلا رفعه: «إن الله ليكفر روايته له إنه من جيد الحديث...».

٢٠ المقالة التاسعة عشرة في الأمر بوفاء الوعد والنهي عن خلفه

المقالة التاسعة عشرة في الأمر بوفاء الوعد والنهي عن خلفه
قال رضي الله عنه: إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وف بوعدك، ولا تخلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك، وإذا قوي ذلك في قلبك وتمكنت خوطبت بقوله: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: الآية ٥٤] وتكرر هذا الخطاب لك حالا بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة ولا مطلب، ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها، ولا منزلة تلمحها «فتسمو همتك إليها»، فصرت كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع، فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولا همة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى، وطهرت مما سوى الله تعالى، وأعطيت رضاك عن الله عزّ وجلّ، ووعدت برضوانه عزّ وجلّ عنك، ولذذت ونعمت بأفعال الله عزّ وجلّ أجمع، فحينئذ توعد بوعد، فإذا اطمأننت إليه ووجدت فيه أمارة إرادة ما نقلت عن ذلك الوعد إلى ما هو أعلى منه، وصرفت إلى أشرف منه، وعوضت عن الأول بالغنى عنه، وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة في الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ في مكانتك في حفظ الحال ثم المقام، وفي أمانتك في حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة في إلقاء المحبة عليك، فجعلت محبوب الخليقة أجمع الثقلين وما سواهما دنيا وأخرى. إذا صرت محبوب الحق عزّ وجلّ، والخلق تابع للحق جل وعلا، ومحبتهم مندرجة في محبته، كما أن بغضهم يندرج في بغضه عزّ وجلّ. فإذا بلغت هذا المقام الذي ليس لك فيه إرادة شيء البتة جعلت لك إرادة شيء من الأشياء، فإذا تحققت إرادتك لذلك الشيء أزيل الشيء وأعدم، وصرفت عنه فلم تعطه في الدنيا، وعوضت عنه في الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلي الأعلى، وما تقربه عيناك في الفردوس الأعلى وجنة المأوى، وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت في دار الدنيا التي هي دار الفناء والتكاليف والعناء، بل رجاؤك وأنت فيها وجه الذي خلق وبرأ ومنع وأعطى، وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد والمطلوب والمنى، وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أو مثله في الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك، حينئذ يصدك عن ذلك المطلوب والمراد، وتحقيق العوض في الأخرى على ما ذكرنا وبينا، والله سبحانه أعلم.

٢١ المقالة العشرون في قوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»

المقالة العشرون في قوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (١)
قال رضي الله عنه: دع ما يريبك إذا اجتمع مع ما لا يريبك فخذ بالعزيمة الذي لا يشوبها ريب ولا شك، ودع ما يريبك، فأما إذا تجرد المريب المشوب الذي لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه، فإن أمرت بتناوله فدونك وإن أمرت بالكفّ عنه ومنعت فكفّ، فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد، ارجع إلى الباب وابتغ عند ربك الرزق، وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عزّ وجلّ لا يحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك، وهو عزّ وجلّ يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف ينساك أيها المؤمن الموحّد المقبل على طاعته والقائم بأمره في آناء الليل وأطراف النهار؟.
(وجه آخر) دع ما في أيدي الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم، وخذ من فضل الله عزّ وجلّ وهو ما لا يريبك. وليكن لك مسؤول واحد ومعط واحد ومرجوّ واحد ومخوّف واحد وموجود واحد وهمّة واحدة، وهو ربك عزّ وجلّ، الذي نواصي الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التي هي أمراء الأجساد، وأموال الخلق له عزّ وجلّ، وهم وكلاؤه وأمناؤه، وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عزّ وجلّ وأمره وتحريكه وكفّها عن عطائك كذلك قال عزّ من قائل: {وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ} [النّساء: الآية ٣٢]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

[العنكبوت: الآية ١٧]، وقال سبحانه: {وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ} [البقرة: الآية ١٨٦]، وقال تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: الآية ٦٠]، وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)} [الذّاريات: الآية ٥٨]، وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ} [آل عمران: الآية ٣٧].

---

١) رواه البخاري (٢/ ٧٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٩٨)، والترمذي (٤/ ٦٦٨)، والدارمي (٢/ ٣١٩)، وأحمد في مسنده (١/ ٣،٢٠٠/ ١٥٣،١١٢)، والنسائي (٨/ ٣٢٧) وفي الكبرى (٣/ ٢٣٩).

٢٢ المقالة الحادية والعشرون في مكالمة إبليس عليه اللعنة

٢٣ المقالة الثانية والعشرون في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

المقالة الحادية والعشرون في مكالمة إبليس عليه اللعنة

قال رضي الله عنه: رأيت إبليس اللعين في المنام وأنا في جمع كثير فهممت بقتله، فقال لي لعنة الله لم تقتلني وما ذنبي؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه، وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه، فأي شيء بيدي؟ وكانت صورته على صورة الخناثى لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة، ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل وذلك في ليلة الأحد ثاني عشر ذي الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة، والله الهادي لكل خير.

المقالة الثانية والعشرون في ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا يزال الله يبتلي عبده المؤمن على قدر إيمانه، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايد عظم بلاؤه، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبي، لأن إيمانه أعظم، والنبي بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولي، كل واحد على قدر إيمانه ويقينه. وأصل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل» (١) فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء السادات الكرام حتى يكونوا أبدا في الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة، لأنه يحبهم، فهم أهل المحبة يحبون الحق، والمحب أبدا لا يختار بعد محبوبه، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم، فإذا دام ذلك في حقهم ذابت أهويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتنزوي الشهوات والإرادات، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى ما يلي النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عزّ وجلّ، والرضا بقضائه، والقناعة بعطائه، والصبر على بلائه، والأمن من شر خلقه إلى ما يلي القلب، فتقوى شوكة القلب، فتصير الولاية على الجوارح إليه، لأن البلاء يقوي القلب واليقين، ويحقق الإيمان والصبر، ويضعف النفس والهوى، لأنه كلما وصل الألم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عزّ وجلّ، رضي الرب تعالى عنه وشكره، فجاءه المدد والزيادة

---

١) رواه البخاري (٥/ ٢١٣٩)، وابن حبان (٧/ ١٨٤،١٦٠).

٢٤ المقالة الثالثة والعشرون في الرضاء بما قسم الله تعالى

والتوفيق. قال الله تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: الآية ٧]، وإذا تركت النفس بطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسليط الخلق، والأوجاع والأمراض، والإيذاء والتشويش، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل الحق عزّ وجلّ بإلهام في حق الأولياء، ووحي صريح في حق

المرسلين والأنبياء. عليهم الصلاة والسلام، فعمل ذلك عطاء ومنعا، وعمهما الله بالرحمة والبركة، والعافية والرضا، والنور والمعرفة، والقرب والغنى والسلامة من الآفات، والنصر على الأعداء، فاعلم ذلك واحفظه، واحذر البلاء جدّا في المسارعة إلى إجابة النفس والهوى، بل توقف وترقب في ذلك إذن المولى جل جلاله، فتسلم في الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى.

المقالة الثالثة والعشرون في الرضاء بما قسم الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: ارض بالدون والزمه جدّا حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس، وبه تهنأ وفيه تبقى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى، ثم تترقى من ذلك إلى ما هو أقر عينا منه وأهنأ.

واعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب، وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد، فاصبر والزم الحال وارض به، لا تأخذ بك حتى تؤمر، ولا تعط بك حتى تؤمر ولا تحرك بك ولا تسكن بك، فتبتلي بك وبمن هو شر منك من الخلق، لأنك بذلك تظلم والظالم لا يغفل عنه. قال الله عزّ وجلّ: {وَكَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} [الأنعام: الآية ١٢٩] لأنك في دار ملك عظيم أمره شديد وشوكته، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عدل قضاؤه. {لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ} [سبأ: الآية ٣] لا يجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلما وأكبرهم جريمة، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفي خلقه عزّ وجلّ بهواك. قال الله تعالى: {لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: الآية ١٣]. وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ} [النّساء: الآية ٤٨] اتق الشرك جدّا ولا تقربه، واجتنبه في حركاتك

٢٥ المقالة الرابعة والعشرون في الحثّ على ملازمة باب الله تعالى

وسكناتك وليلك ونهارك، في خلوتك وجولتك. واحذر المعصية في الجملة في الجوارح والقلب واترك الإثم ما ظهر منه وما بطن. لا تهرب منه عزّ وجلّ فيدركك، ولا تنازعه في قضائه فيقصمك، وتتهمه في حكمه فيخذلك، ولا تغفل عنه فينبهك ويبتليك، ولا تحدث في داره حادثة فيهلكك، ولا تقل في دينه بهواك فيرديك ويظلم قلبك، ويسلب إيمانك ومعرفتك، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك في الدنيا ويطيل عذابك في العقبى.

المقالة الرابعة والعشرون في الحثّ على ملازمة باب الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: احذر معصية الله عزّ وجلّ جدّا، والزم بابه حقّا، وابذل طوقك وجهدك في طاعته معتذرا متضرعا مفتقرا خاضعا، متخشعا مطرقا، غير ناظر إلى خلقه ولا تابع لهواك، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة، واقطع بأنك عبده والعبد وما ملك لمولاه، لا يستحق عليه شيئا من الأشياء، أحسن الأدب ولا تتّهم مولاك، فكل شيء عنده بمقدار، لا مقدّم لما أخّر ولا مؤخّر لما قدّم، يأتيك ما قدّر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت، لا تشره على ما سيكون لك، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك، فما ليس هو عندك لا يخلو إما أن يكون لك أو لغيرك، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير، فاللقاء عن قريب حاصل، وما ليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عزّ وجلّ في وقتك الحاضر، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ما سواه. قال الله تعالى: {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى (١٣١)} [طه: الآية ١٣١] فقد نهاك الله عزّ وجلّ عن الالتفات إلى غير ما أقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله، ونبهك أن ما سوى ذلك فتنة افتتنهم به، ورضاك بقسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك، وشهوتك ومناك، تنل به كل المرام، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف وسرور ونفيس. قال الله

تعالى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا

٢٦ المقالة الخامسة والعشرون في شجرة الإيمان

يَعْمَلُونَ (١٧)} [السّجدة: الآية ١٧] ولا عمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب، ولا أجمع ولا أعظم ولا أشرف ولا أحب إلى الله عزّ وجلّ، ولا أرضى عنده مما ذكرنا لك، وفّقنا الله وإياك لما يحبّ ويرضى بمنّه.

المقالة الخامسة والعشرون في شجرة الإيمان

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تقولنّ يا فقير اليد، يا مولّي عنه الدنيا وأبناؤها، يا خامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها، يا جائع يا نايع يا عريان الجسد يا ظمآن الكبد يا مشتتا في كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب، ومردودا من كل باب، ومدفوعا عن كل مراد، ومنكسرا ومزدحما في قلبه كل حاجة ومرام.

إن الله تعالى أفقرني وذوى عني الدنيا وغرّني، وتركني وقلاني وفرّقني ولم يجمعني وأهانني ولم يعطني من الدنيا كفاية، وأخملني ولم يرفع ذكري بين الخليقة وإخواني، وأسبل على غيري نعمة منه سابغة يتقلب فيها في ليله ونهاره، وفضله عليّ وعلى أهل دياري وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمّنا حوّاء عليهما السلام، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكم لديك، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكينة مورقة مثمرة متزايدة متشعّبة غضّة مظلّلة متفرعة، فهي كل يوم في زيادة ونموّ، فلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمى بها وتربى، وقد فرغ الله عزّ وجلّ من أمرك على ذلك، وأعطاك في الآخرة دار البقاء وخوّلك فيها، وأجزل عطاءك في العقبى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)} [السّجدة: الآية ١٧] أي ما عملوا في الدنيا من أداء الأوامر، والصبر على ترك المناهي، والتسليم والتفويض إليه في المقدور، والموافقة له في جميع الأمور. وأما الغير الذي أعطاه الله عزّ وجلّ الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله فعل به ذلك، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصخر لا يكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار، ويتربى فيها الزرع والثمار فصبّ عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار، وهي الدنيا وحطامها ليحفظ بها ما أنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال، فلو قطع ذلك عنها لجفّ النبات والأشجار، وانقطعت الثمار، فخرجت الديار، وهو عزّ وجلّ مريد

٢٧ المقالة السادسة والعشرون في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

عمارتها، فشجرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وجال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يا فقير، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت، فكان كفرا وجحودا وإلحاقا بالمنافقين والمرتدين والكفار، اللهم إلا أن يبعث الله عزّ وجلّ إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيقوي الإيمان بها فحينئذ لا يبالي بانقطاع الغنى والنعيم، والله الهادي الموفق.

المقالة السادسة والعشرون في النهي عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك في جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك، فتفنى عن الأكوان دنيا وأخرى، فتصير كإناء منثلم لا يبقى فيك غير إرادة ربك عزّ وجلّ فتمتلىء به عزّ وجلّ وبحكمه، إذا خرج الزور دخل النور، فلا يكون لغير ربك في قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بواب قلبك، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت، فكل من رأيته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك

إرادتك ومنياك في دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة، لا أرى متبع إلا اتباع أمر الرب عزّ وجلّ، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره، بل الفناء في قضائه وقدره، فتكون عبد الرب عزّ وجلّ وأمره لا عبد الخلق وآرائهم فإذا استمر الأمر فيك كذلك، ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت، وحف بجنود الحقيقة والتوحيد، ويقام دون ذلك حراس من الحق عزّ وجلّ، كيلا يخلص الخلق إلي، تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى، والإرادات والأماني الباطلة، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء، والضلالات الناشئة من الهوى فحينئذ إن كان في القدر مجيء الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك، ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنيرة والحكم البالغة، ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزداد بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكايدات في عبادة ربهم عزّ وجلّ، حفظت عنهم أجمعين، وعن ميل النفس إلى هواها، وعجبها ومباهاتها، وتعاظمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك وكذلك إن قدر مجيء زوجة حسناء جميلة بكفايتها وسائر مؤنتها حفظت من شرّها
وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكفاة مهناة منقاة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقد والغضب والخيانة في الغيب، فتكون لك مسخرة، وهي وأهلها محمولة عنك مؤنتها، مدفوعة عنك أذيتها، وإن قدر منها ولد كان صالحا ذرية طيبة قرة عين. قال الله تعالى: {وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ} [الأنبياء: الآية ٩٠]، وقال تعالى: {هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِمامًا} [الفرقان: الآية ٧٤]، وقال تعالى: {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [مريم: الآية ٦] فتكون هذه الدعوات التي في هذه الآيات معمولا بها مستجابة في حقك إن دعوت بها أو لم تدع، إذ هي في محلها وأهلها، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلا لهذه المنزلة، وأقيم في هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار، وكذلك إن قدر مجيء شيء من الدنيا وإقبالها لا يضر إذ ذاك، فما هو قسمك منها فلا بد من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عزّ وجلّ، وورود الأمر يتناوله وأنت ممتثل للأمر مثاب على تناوله، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على ما يقتضي الحال، فالأحوال تكشفها وتميزها. ليس الخبر كالمعاينة، فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لا غبار عليها ولا تلبيس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب، فالصبر الصبر، الرضا الرضا، حفظ الحال حفظ الحال، الخمول الخمول، الخمود الخمود السكوت السكوت، الصموت الصموت، الحذر الحذر، النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله ثم الله، الإطراق الإطراق، الإغماض الإغماض الحياء الحياء إن يبلغ الكتاب أجله، فيؤخذ بيدك فتقدم وينزع عنك ما عليك ثم تغوص في بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليك خلع الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطي وتغني وتشجع وترفع، وتخاطب بـ {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: الآية ٥٤] فحينئذ اعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها، كان لسان الملك قائلا معبرا بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عزّ وجلّ على لسان المعرفة، سلم إليه المالك الظاهر وهو ملك مصر، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربة والخصوصية وعلو المنزلة عنده عزّ وجلّ. قال تعالى في ملك الملك: {وَكَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} [يوسف: الآية ٢١] أي في أرض مصر،

٢٨ المقالة السابعة والعشرون في أن الخير والشر ثمرتان

{يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: الآية ٥٦]، قال تعالى في ملك النفس: {كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية ٢٤]، وقال تعالى في ملك المعرفة والعلم: {ذلِكُما مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ} [يوسف: الآية ٣٧]، فإذا خوطبت بهذا الخطاب يا أيها الصديق الأكبر، أعطيت الحظ الأوفر، من العلم الأعظم، ومنحت وهنيت بالتوفيق والمنن والقدرة والولاية العامة، والأمر النافذ على النفس وغيرها من الأشياء والتكوين، بإذن إله الأشياء في الدنيا قبل الآخرة. وأما في الأخرى في دار السلام والجنة العليا، فالنظر إلى وجه

المولى الكريم زيادة ومنه، وهو المنى الذي لا غاية له ولا منتهى، والله الموفق لحقائق ذلك، إنه رؤوف رحيم.

المقالة السابعة والعشرون في أن الخير والشر ثمرتان

قال رضي الله عنه وأرضاه: اجعل الخير والشر ثمرتين من غصنين من شجرة واحدة، أحد الغصنين يثمر حلوا والآخر مرّا، فاترك البلاد والأقاليم ونواحي الأرض التي يحمل إليها هذه الثمار المأخوذة من هذه الشجرة، وابعد منها ومن أهلها واقترب من الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها، واعرف الغصنين والثمرتين والجانبين، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلوا، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها، فإذا دمت على هذا كنت في دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت في الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهي مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها، فربما وقعت يدك على المرة فأدنيتها من فيك فأكلت منها جزءا ومضغته، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلقك ودماغك وخياشيمك، فعملت فيك وسرت في عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها، ولفظك الباقي من فيك وغسل أثره لا ينفع ولا يدفع عنك ما قد سرى في جسدك ولا ينفعك، وإن أكلت ابتداء من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها في أجزاء جسدك وانتفعت بها وسررت فلا يكفيك ذلك، فلا بد تتناول غيرها ثانيا، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة فيحل بك ما ذكرته لك، فلا خير في البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة في قربها

والقيام معها، فالخير والشر بفعل الله عزّ وجلّ، والله هو فاعلهما ومجريهما. قال الله عزّ وجلّ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ (٩٦)} [الصّافات: الآية ٩٦]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله خلق الجازر وجزوره» وأعمال العباد خلق الله عزّ وجلّ وكسبهم. قال تعالى: {اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النّحل: الآية ٣٢] سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل إليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم، وهو بتوفيقه ورحمته لهم في الدنيا والآخرة.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة أحد بعمله، فقيل له ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ووضع يده على رأسه» (١)، مروي ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها: «فإذا كنت طائعا لله عزّ وجلّ ممتثلا لأمره منتهيا لنهيه مسلما له في قدره، حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها دينا ودنيا. أما دنيا: فقوله تعالى: {كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية ٢٤]، وأما دينا فقوله عزّ وجلّ: {ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكانَ اللَّهُ شاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)} [النساء: الآية ١٤٧] مؤمن شاكر ما يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية أقرب من البلاء، لأنه في حمل المزيد أيضا، لأنه شاكر. قال الله عزّ وجلّ: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: الآية ٧] فإيمانك يطفىء لهب النار في الآخرة التي هي عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفىء نار البلايا في الدنيا؟ اللهم إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء، فلا بد من البلاء ليصفي به من خبث الهوى والميل إلى الطباع، والركون إلى شهوات النفس ولذاتها، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك، ويتنظف القلب بخروج الكل، ويبقى توحيد الرب عزّ وجلّ ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب، لأنه بيت لا يسعه اثنان، قال الله عزّ وجلّ: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب: الآية ٤]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً} [النّمل: الآية ٣٤] فأخرجوا الأعزّة عن طيب المنازل ونعيم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من

____

١) رواه الربيع في مسنده (١/ ٢٨٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٤٠٢)، وأورده الحافظ في الفتح (١١/ ٢٩٥،١٣/ ٦١)، والحناوي في فيض القدير (٤/ ٥٢٢).

٢٩ المقالة الثامنة والعشرون في تفصيل أحوال المريد

أنواع المعاصي والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التي هي القلب وتنظفت الساحة التي هي الصدر. فأما لقلب فصار مسكينا للتوحيد والمعرفة والعلم. وأما الساحة فمهبط الموارد والعجائب من الغيب؛ كل ذلك نتيجة البلايا وثمراتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل» وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفا» فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره، لأنه في مرأى من الملك لا يخفى عليه تصاريفه وحركاته.
فإن قلت: فالخليقة عند الله عزّ وجلّ بأجمعهم كشخص واحد لا يخفى عليه منهم شيء، فأي فائدة لهذا الكلام؟
فنقول لك: لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره، لأنه وجب عليه شكر ما أولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الالتفات عن خدمته تقضبر في شكره وذلك نقصان في طاعته. قال الله عزّ وجلّ: {يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَاتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ} [الأحزاب: الآية ٣٠]، قال ذلك لهنّ لتمام نعمه عزّ وجلّ عليهن باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكيف من كان مواصلا بالله عزّ وجلّ وقربه، تعالى الله علوّا كبيرا عن التشبيه بخلقه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشّورى: الآية ١١] والله الهادي.
المقالة الثامنة والعشرون في تفصيل أحوال المريد
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «أتريد الراحة والسرور والدعة والحبور، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد في كير السبك والتذويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة؟ على رسلك يا مستعجل مهلا مهلا، يا مترقب الباب مسدود إلى ذلك، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم» أنت مصدود عن ذلك ما بقي عليك من الدنيا مقدار مصّ نواة، والدنيا هواك ومرادك، ورؤيتك بشيء من الأشياء أو طلبك بشيء من الأشياء وتشوق نفسك إلى شيء من الأعواض دنيا وأخرى؛ فما دام فيك شيء من ذلك فأنت في باب الإفناء، فاسكن حتى يحصل الفناء على التمام والكمال، فتخرج من الكبر وتكمل صياغتك وتجلى وتكسى وتطيب

٣٠ المقالة التاسعة والعشرون في قوله صلى الله عليه وسلم: «كاد الفقر أن يكون كفرا»

وتبخر، ثم ترفع إلى الملك الأكبر فتخاطب: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: الآية ٥٤] فتؤانس وتلاطف، وتطعم من الفضل ومنه تسقي وتقرب وتدني وتطلع على الأسرار وهي عنك لا تخفى فتغني بما تعطي من ذلك عن جميع الأشياء. ألا ترى إلى قراضة الذاهب متفرقة مبتذلة متداولة غادية رائحة في أيدي العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكفافين أصحاب الصنائع النفيسة والرذيلة الدنية الخبيثة، ثم تجمع فتجعل في كير الصائغ فتذوب هناك بإشعال النار عليها، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاك فتجعل حليا، ثم تجلى وتطيب فتترك في خير المواضع والأمكنة من وراء الأخلاق في الخزائن والصناديق والأحقاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم» وقد تكون العروس للملك الأعظم فتنقل القراضة من هذه إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق، هكذا أنت يا مؤمن إذا صبرت على مجاري الأقدار فيك ورضيت بالقضاء في جميع الأحوال قربت إلى مولاك عزّ وجلّ في الدنيا، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار، وتسكن في الآخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جوار الله وداره وقربه عزّ وجلّ، فاصبر ولا تستعجل، وارض بالقضاء ولا تتهم، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى.
المقالة التاسعة والعشرون في قوله صلى الله عليه وسلم: «كاد الفقر أن يكون كفرا»
قال رضي الله عنه وأرضاه: «يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عزّ وجلّ، ويعتقد تسهيل الرزق منه، وأن ما أصابه لم يكن

ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويؤمن بقوله عزّ وجلّ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطّلاق: الآيتان ٢،٣]، ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والفناء ثم يبتليه الله عزّ وجلّ بالبلاء والفقر فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه، فحينئذ يتحقق قوله صلى الله عليه وسلم: «كاد الفقر أن يكون كفرا» (١) فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه

١) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٤٢)، وأورد الحبار كفوري في تحفة الأحوذي (٧/ ١٧)، (١٠/ ٤٥)، والحناوي في فيض القدير (٤/ ٥٤٢،٥/ ٤٥٨)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٤١).

٣١ المقالة الثلاثون في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل وما الحيلة؟

وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عزّ وجلّ والشك في وعده فيموت كافرا بالله عزّ وجلّ جاحدا لآياته ومسخطا على ربه، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل جمع الله له بين الدنيا وعذاب الآخرة» نعوذ بالله من ذلك وهو الفقر المنسي الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، والرجل الثاني هو الذي أراد الله عزّ وجلّ اصطفاء واجتباءه وجعله من خواصه وأحبابه وأخلائه وورث أنبياءه وسيد أوليائه، ومن عظماء عباده وعلمائهم وحكمائهم وشفعائهم وشيخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهاديهم إلى مولاهم، ومرشدهم إلى سبيل الهدى واجتناب سبل الردى، فأرسك إليه جبال الصبر وبحار الرضى والموافقة والغنى في قضائه وفعله، ثم يدركه بجزيل العطاء ويدعو الله في آناء الليل وأطراف النهار في الجلوة والخلوة في الظاهرة مرة وفي الباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقاء، والله الهادي.

المقالة الثلاثون في النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل وما الحيلة؟

قال رضي الله عنه وأرضاه: وأكثر ما تقول إيش أعمل وما الحيلة، فيقال لك قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه. قال الله عزّ وجلّ: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)} [آل عمران: الآية ٢٠٠] أمرك بالصبر يا مؤمن، ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة ثم حذرك تركه فقال: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} [البقرة: الآية ١٨٩] في ترك ذلك: أي لا تتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد» وقيل: كل شيء ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف بغير مقدار، لقوله تعالى: {إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ} [الزّمر: الآية ١٠] فإذا اتقيت الله عزّ وجلّ حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ما وعدك في كتابه وهو قوله عزّ وجلّ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: الآيتان ٢،٣] وكنت بصبرك حتى يأتيك الفرج من المتوكلين وقد وعدك الله عزّ وجلّ بالكفاية فقال: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطّلاق: الآية ٣] وكنت مع صبرك وتوكلك من المحسنين، وقد وعدك بالجزاء فقال عزّ وجلّ: {وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام: الآية ٨٤] ويحبك الله مع ذلك، لأنه قال: {إِنَّ

٣٢ المقالة الحادية والثلاثون في البغض في الله

٣٣ المقالة الثانية والثلاثون في عدم المشاركة في محبة الحق

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: الآية ١٩٥] فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة، ثم الفناء في أفعال الله عزّ وجلّ حالة البدلية والغيبية، فاحذر أن تتركه فيخذلك في الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما، نعوذ بالله من ذلك.

المقالة الحادية والثلاثون في البغض في الله

قال رضي الله عنه وأرضاه: إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك الله عزّ وجلّ ورسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالما له ببغضك إياه وعاص لله عزّ وجلّ ولرسوله مخالف لهما، فتب إلى الله عزّ وجلّ من بغضك واسأله عزّ وجلّ محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقا له عزّ وجلّ، وكذلك افعل بمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت محبوبة فيهما فأحببه، وإن كانت مبغوضة فابغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك. قال عزّ وجلّ: {وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ} [ص: الآية ٢٦].

المقالة الثانية والثلاثون في عدم المشاركة في محبة الحق

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما أكثر ما تقول كل من أحبّه لا تدوم محبتي إياه فيحال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك: أما تعلم يا محبوب الحق المعني المنظور إليه المغار له وعليه. ألم تعلم أن الله عزّ وجلّ غيور، خلقك له وتروم أن تكون لغيره؟ أما سمعت قوله عزّ وجلّ: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: الآية ٥٤]، وقوله تعالى: {وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)} [الذّاريات: الآية ٥٦]، أما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله عبدا ابتلاه، فإن صبر اقتناه». قيل: يا رسول الله وما اقتناه؟ قال: «لم يذر له مالا ولا ولدا»، وذلك لأنه إذا كان له مال وولد أحبهما فتنقص وتجزي، فتصير مشتركة بين الله عزّ وجلّ وبين غيره، والله تعالى لا يقبل الشريك، وهو غيور قاهر، فوق كل شيء، فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له من غير

٣٤ المقالة الثالثة والثلاثون تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

شريك، فيتحقق حينئذ قوله عزّ وجلّ: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولد والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات والجنات والدرجات والقربات والزلفات فلا يبقى في القلب إرادة ولا أمنية، يصير كالإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع لأنه انكسر لفعل الله عزّ وجلّ، وأنه كلّما تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته، فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة، وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة، فلم يخلص إلى القلب إرادة شيء من الأشياء، فحينئذ لا يضر القلب الأسباب من المال والولد والأهل والأصحاب والكرامات والحكم والعلم والعبادات، فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عزّ وجلّ بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفا به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين عليه، فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عزّ وجلّ، فيكون خفيرا لهم وكنفا وحرزا وشفيعا دنيا وأخرى.

المقالة الثالثة والثلاثون تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال رضي الله عنه وأرضاه: الناس أربعة رجال:

(رجل) لا لسان له ولا قلب وهو العاصي الغر الغبي لا يعبأ الله به، لا خير فيه، وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم إلى أن يعمهم الله عزّ وجلّ برحمته، فيهدي قلوبهم للإيمان به ويحرك جوارحهم بالطاعة له عزّ وجلّ، فاحذر أن تكون منهم، ولا تكترث بهم ولا تقم فيهم فإنهم أهل العذاب، والغضب والسخط سكان النار وأهلها، نعوذ بالله عزّ وجلّ منهم، إلا أن تكون من العلماء بالله عزّ وجلّ ومن معلمي الخير وهداة الدين وقواده ودعاته، فدونك فإنهم وادعهم إلى طاعة الله عزّ وجلّ، وحذرهم معصيته فتكتب عند الله جهبذا، فتعطي ثواب الرسل والأنبياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن يهدي الله

بهداك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس».
(الرجل الثاني) رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عزّ وجلّ، يستقبح عيب غيره ويدوم هو على مثله في نفسه، يظهر للناس تنسكا ويبارز الله عزّ وجلّ بالعظائم من المعاصي، إذا خلا كأنه
ذئب عليه ثياب، وهو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «أخوف ما أخاف على أمتي من كل منافق عليم اللسان». وفي حديث آخر: «أخوف ما أخاف على أمتي من علماء السوء». نعوذ بالله من هذا، فابعد منه وهرول، لئلا يختطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه، ويقتلك فتن باطنه وقلبه.
(والرجل الثالث) قلب بلا لسان، وهو مؤمن ستره الله عزّ وجلّ من خلقه، وأسبل عليه كنفه، وبصره بعيوب نفسه، ونور قلبه، وعرفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق، وتيقن أن السلامة في الصمت والانزواء والانفراد، واسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من صمت نجا» (١). واسمع قول بعض العلماء: العبادة عشر أجزاء، تسعة منها في الصمت، فهذا رجل ولي الله عزّ وجلّ، في ستر الله محفوظ ذو سلامة وعقل وافر، جليس الرحمن منعم عليه، فالخير كل للخير عنده، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بها، فيحبك الله ويصطفيك، ويدخلك في زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى.
(والرجل الرابع) المدعو في الملكوت بالعظيم كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من تعلّم وعلّم، وعمل دعي في الملكوت عظيما» (٢)، وهو العالم بالله عزّ وجلّ وآياته، استودع الله عزّ وجلّ قلبه غرائب علمه، وأطلعه على أسرار طواها عن غيره، واصطفاه واجتباه وجذبه إليه ورقاه، وإلى باب قربه هداه، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم، وجعله جهبذا وداعيا للعباد ونذيرا لهم وحجة فيهم، هاديا مهديا شافعا مشفعا صادقا صديقا، بدلا لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته.
فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة، فعليك به واحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعاديه وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته، وقوله: فإن السلامة فيما يقول عنده، والهلاك والضلال عند غيره إلا من يوفقه الله عزّ وجلّ ويمده بالسداد والرحمة.
فقد قسمت لك الناس، فانظر لنفسك إن كنت ناظرا، واحترز لها إن كنت محترزا لها شفيقا عليها، هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

---

١) رواه الترمذي (٤/ ٦٦٠)، والدارمي (٢/ ٣٨٧)، وأحمد في المسند (٢/ ١٧٧،١٥٩)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٦٤)، والقضاعي في الشهاب (١/ ٢١٩).
٢) لم أقف عليه.

٣٥ المقالة الرابعة والثلاثون في النهي عن السخط على الله تعالى

المقالة الرابعة والثلاثون في النهي عن السخط على الله تعالى
قال رضي الله عنه وأرضاه:
ما أعظم تسخطك على ربك وتهمتك له عزّ وجلّ، واعتراضك عليه وانتسابك له عزّ وجلّ بالظلم، واستبطائك في الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى، أما تعلم أن لكل أجل كتاب، ولكل زيادة بلية وكربة غاية منتهى ونفاد، لا يتقدم ذلك ولا يتأخر، أوقات البلايا لا تقلب فتصير عوافي ووقت البؤس لا ينقلب نعيمه، وحالة الفقر لا تستحيل غنى.
أحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عزّ وجلّ، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له في فعله، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب، ولا عرض على الطبع كما هو في حق العبيد بعضهم في بعض، هو عزّ وجلّ منفرد بالأزل وسبق الأشياء، خلقها وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها، وهو عزّ وجلّ حكيم في فعله متقن في صنعه لا تناقض في فعله،

لا يفعل عبثا ولا يخلق باطلا لعبا، ولا تجوز عليه النقائص ولا اللوم في أفعاله، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى في فعله حتى يبلغ الكتاب أجله، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال، كما ينقضي الشتاء فيسفر عن الصيف، وينقضي الليل فيسفر عن النهار، فإذا طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه، بل يزداد في ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشيء في غير حينه ووقته فتبقى حسيرا منقطعا متسخطا نجلا، فأرخ هذا كله وألزم الموافقة وحسن الظن بربك عزّ وجلّ والصبر الجميل، فما كان لك لا تسلبه، وما ليس لك لا تعطاه: لعمري إنك تدعو وتبتهل إلى ربك عزّ وجلّ بالدعاء والتضرع وهو عبادة وطاعة امتثالا لأمره عزّ وجلّ في قوله تعالى: {ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: الآية ٦٠]، وقوله تعالى: {وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ} [النّساء: الآية ٣٢] وغير ذلك من الآيات والأخبار، أنت تدعو وهو يستجب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك في ذلك مصلحة في دنياك وأخراك ويوافق في ذلك قضاءه وانتهاء أجله، لا تتهمه في تأخير الإجابة ولا تسأم من دعائه، فإنك إن لم تربح لم تخسر، وإن لم يجبك عاجلا أثابك آجلا، فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، «والعبد يرى في صحائفه حسنات يوم القيامة لا يعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك في الدنيا الذي لم يقدر قضاؤه فيها» (١)، أو كما ورد ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكرا لربك عزّ وجلّ موحدا له حيث تسأله ولا تسأل أحدا غيره، ولا تترك حاجتك لغيره تعالى، فأنت بين الحالتين في زمانك كله ليلك نهارك وصحتك وسقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك، واما أن تمسك عن السؤال، وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عزّ وجلّ، كالميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في يدي الظئر، والكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، فيقلبك القدر كيف يشاء، إن كان النعماء فمنك الشكر والثناء ومنه عزّ وجلّ المزيد في العطاء. كما قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: الآية ٧]، وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت والنصرة والصلاة والرحمة منه عزّ وجلّ بفضله وكرمه كما قال عز من قائل: إِنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ} [البقرة: الآية ١٥٣] بنصره وتثبيته، وهو لعبده ناصر له على نفسه وهواه وشيطانه. وقال تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ} [محمّد: الآية ٧] إذا نصرت الله في مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصما لله على نفسك سياقا عليها كلما تحركت بكفرها وشركها حزت رأسها بصبرك وموافقتك لربك والطمأنينة إلى فعله ووعده والرضا بهما كان عزّ وجلّ لك معينا وأما الصلاة والرحمة، فقوله عزّ وجلّ: {وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (١٥٦) أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧]. والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك عزّ وجلّ بالدعاء والتضرع إعظاما له وامتثالا لأمره، وفيه وضع الشيء في موضعه، لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه، وجعل ذلك مستراحا ورسولا منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير الإجابة إلى حينها، اعتبر ما بين الحالتين ولا تكن ممن تجاوز عن حديهما، فإنه ليس هناك حالة أخرى، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلك عزّ وجلّ ولا يبالي كما أهلك من مضى من الأمم السالفة في الدنيا بتشديد بلائه وفي الآخرة بأليم عذابه.

١) لم أقف عليه.

٣٦ المقالة الخامسة والثلاثون في الورع

المقالة الخامسة والثلاثون في الورع

قال رضي الله عنه وأرضاه: عليك بالورع وإلا فالهلاك في زيقك ملازم لك لا تنجو منه أبدا إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته، فقد ثبت في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كالراتع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لا يكاد أن يسلم الزرع منه» (١). وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: كنا نترك سبعين بابا من المباح مخافة أن نقع في الجناح. وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، فعلوا ذلك تورعا في مقاربة الحرام أخذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل ملك حمى» (٢)، وإن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فمن دخل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثاني والثالث حتى قرب من سدته خير ممن وقف على الباب الأول الذي يلي البر «فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بابين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده، وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقي في البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين»، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها: إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه حصل في الرخص ولم يخرج عن الشرع: فإذا أدركته المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده، فغلب الهوى عليه وشهوات النفس، فتناول الحرام يخرج من الشرع فصار في زمرة الشياطين أعداء الله عزّ وجلّ الضالين عن سبل الهدى، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله، فالخطر في القيام مع الرخص، والسلامة كل السلامة مع العزيمة، والله الهادي إلى سواء الطريق.

____

١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٨)، ومسلم (٣/ ١٢١٩)، وأبو داود في سننه (٣/ ٢٤٣)، والنسائي في المجتبى (٧/ ٢٤٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٥،٤٩٧/ ٣٨٠).

٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٨)، ومسلم (٣/ ١٢١٩)، وابن حبان (١٢/ ٣٨٠)، والترمذي في سننه (٣/ ٥١١)، والدارمي (٢/ ٣١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٤،٥/ ٣٣٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧١،٢٧٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٢٨،١٢٧).

٣٧ المقالة السادسة والثلاثون في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيهما

المقالة السادسة والثلاثون في بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيهما

قال رضي الله عنه وأرضاه: اجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه، واصرف زمانك أولا في تحصيل آخرتك. ثم إن فضل من زمانك شيء اصرفه في دنياك وفي طلب معاشك، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه. ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها في آخرتك تقضي فيها الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان، مختلفة الواجهات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة، جيفة في الليل بطالا في النهار، تابعا لنفسك وهواك وشيطانك، وبائعا آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها في سبيل السلامة وهي طرفه الآخرة وطاعة مولاها عزّ وجلّ فظلمتها بقبولك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها في شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم دينا ودنيا، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئا مريئا وأنت مصون مكرم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا» (١). وكيف لا يكون كذلك ونية الآخرة هي طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها.

وإذا أطعت الله بزهدك في الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله عزّ وجلّ وأهل طاعته ومحبته، وحصلت لك الآخرة وهي الجنة وجوار الله عزّ وجلّ وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذي قدر لك منها، إذ الكل تبع لخالقها ومولاها وهو الله عزّ وجلّ، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك في إيصال قسمك إليك لغضب الله عزّ وجلّ عليك لأنها مملوكته، تهين من عصاه وتكرم من أطاعه، فيتحقق حينئذ قوله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى» (٢). قال تعالى: {مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} [آل عمران: الآية

____

١) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٦٤).
٢) لم أقف عليه.

١٥٢] يعني به أبناء الآخرة، فانظر من أبناء أيهما أنت؟ ومن أي القبيلتين تحب أن تكون وأنت في الدنيا؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق في طلب الدنيا وفريق في طلب الآخرة، وهم أيضا يوم القيامة فريقان (فريق في الجنة وفريق في السعير) فريق في الموقف قيام في طول الحساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون كما قال تعالى، وفريق في ظل العرش كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم تكونون يوم القيامة في ظل العرش عاكفون على الموائد، عليها أطايب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج» (١). كما جاء في الحديث: «وينظرون منازلهم في الجنة حتى إذا فرغ من حساب الخلق دخلوا الجنة» (٢)، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدي أحد الناس في الدنيا إلى منزله، فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشتغالهم بطلب الآخرة والمولى. وهل وقع أولئك الحساب وأنواع الشدائد والذل إلا لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم في الآخرة وقلة المبالاة بأمرها ونسيان يوم القيامة وما سيصيرون إليه غدا مما ذكر في الكتاب والسنة.

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واختر لها خير القبيلتين وأفردها عن أقوال السوء من شياطين الإنس والجن، واجعل الكتاب والسنة أمامك وانظر فيهما واعمل بهما، ولا تغتر بالقال والقيل والهوس. قال الله تعالى: {وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: الآية ٧] ولا تخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملا وعبادة كما قال عزّ وجلّ في حق قوم ضلوا سواء السبيل {وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ} [الحديد: الآية ٢٧] الآية، ثم إنه زكي هو عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وسلم ونزهه عن الباطل والزور فقال عزّ وجلّ: {وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى (٤)} [النّجم: الآيتان ٣،٤] أي ما آتاكم به فهو من عندي لا من هواه ونفسه فاتبعوه. ثم قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: الآية ٣١] فبيّن أن طريق المحبة اتباعه قولا وفعلا، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «الاكتساب سنّتي، والتوكل حالتي» (٣) أو كما قال، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك فالتكسب الذي هو سنته وإن قوي إيمانك فحالته التي

١) روى نحوه الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٥).
٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣). ورواه الطبراني في الأوسط (٣/ ٢٤٩) بنحوه، وقال الهيثمي: وهو ضعيف.
٣) لم أقف عليه.

٣٨ المقالة السابعة والثلاثون في ذم الحسد والأمر بتركه

هي التوكل قال الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: الآية ٢٣]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطّلاق: الآية ٣]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: الآية ١٥٩]، فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [النّساء: الآية ٨١] فاتبع أوامر الله عزّ وجلّ في سؤاله في أعمالك فهي مردودة عليك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (١)، هذا يعلم طلب الرزق والأعمال والأقوال، ليس لنا نبي غيره فنتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به، فيضلك هواك والشيطان. قال الله تعالى: {وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: الآية ٢٦] فالسلامة مع الكتاب والسنة، والهلاك مع غيرهما، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية والبدلية والغوثية، والله أعلم.

المقالة السابعة والثلاثون في ذم الحسد والأمر بتركه

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما لي أراك يا مؤمن حاسدا لجارك في مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه في غناه ونعم مولاه عزّ وجلّ وقسمه الذي قسم له؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عزّ وجلّ ويبغضك إليه؟ أما سمعت

الحديث المروي على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قال الله تعالى في بعض ما تكلم به: الحسود عدو نعمتي» (٢). وما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (٣) ثم على أي شيء تحسده يا مسكين؟ أعلى قسمه أم على قسمك؟ فإن حسدته على قسمه الذي قسمه الله في قوله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا} [الزّخرف: الآية ٣٢] فقد ظلمته، رجل يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وقدرها له ولم يجعل لأحد فيها حظّا ولا نصيبا، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقلا منك؟ وإن حسدته على قسمك فقد جهلت غاية الجهل، فإن قسمك لا يعطي غيرك ولا ينتقل منك إليه، حاش لله.

قال الله عزّ وجلّ: {ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩)} [ق: الآية ٢٩] إن الله

---

١) رواه البخاري (٢/ ٧٥٣،٩٥٩)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣).

٢) لم أقف عليه.

٣) رواه أبو داود (٤/ ٢٧٦)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٨). وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٣٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٣٠)، وعبد بن حميد (١/ ٤١٨).

٣٩ المقالة الثامنة والثلاثون في الصدق والنصيحة

عزّ وجلّ لا يظلمك فيأخذ ما قسم وقدر لك فيعطي غيرك، فهذا جهل منك وظلم لأخيك، ثم حسدك للأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعته الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسر وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر، فإن ما في بيته لا يكون جزءا من أجزاء ألف ألف جزء مما هناك، فما حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكا مع سلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضي واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلبا بريا يخدم كلبا من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد ويصيح فيعطي من مطبخ الملك بقايا الطعام ورداءته فيتقوت به فأخذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفه في ذلك خسة ودناءة لا زهدا ودينا وقناعة، فهل يكون في الزمان رجل أحمق منه وأرعن وأجهل؟.

ثم لو علمت يا مسكين ما سيلقى جارك غدا من طول الحساب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما خوّله وأدّى حقه فيها، وامتثال أمره وانتهاء نهيه فيها، واستعان بها على عبادته وطاعته ما يتمنى أنه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيما يوما قط، أما سمعت ما قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليتمنينّ أقوام يوم القيامة أن تقرض لحومهم بالمقاريض مما يرون لأصحاب البلاء من الثواب». فيتمنى جارك غدا مكانك في الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة في حر الشمس في القيامة، لأجل ما يمتنع به من النعيم في الدنيا وأنت في معزل عن ذلك في ظل العرش آكلا شاربا متنعما فرحا مسرورا مستريحا، لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتها وبؤسها وفقرها، ورضاك وموافقتك لربك عزّ وجلّ فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك، وسقمك وعافية غيرك، وشدتك ورخاء غيرك، وذلك وعز غيرك، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء، وشكر على النعماء، وفوّض الأمور إلى ربّ السماء.

المقالة الثامنة والثلاثون في الصدق والنصيحة

قال رضي الله عنه وأرضاه: من عامل مولاه بالصدق والنصاح، استوحش مما سواه في المساء والصباح.

٤٠ المقالة التاسعة والثلاثون في تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

٤١ المقالة الأربعون متى يصحّ السالك أن يكون في زمرة الروحانيين

يا قوم لا تدعوا ما ليس لكم، ووحدوا، ولا تشركوا، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشا لا قتالا، من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه.
المقالة التاسعة والثلاثون في تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

قال رضي الله عنه وأرضاه: الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، والأخذ مع عدم الهوى وفاق وإنفاق وتركه رياء ونفاق.
المقالة الأربعون متى يصحّ السالك أن يكون في زمرة الروحانيين

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تطمع أن تدخل في زمرة الروحانيين حتى تعادي جملتك، وتباين جميع الجوارح والأعضاء، وتنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عزّ وجلّ، فإذا صرت روحا منفردة، سر السر، غيب الغيب، مباينا للأشياء في سرك، متخذا للكل عدوّا وحجابا وظلمة.

كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)} [الشّعراء: الآية ٧٧] قال ذلك للأصنام، فاجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناما مع سائر الخلق، فلا تطع شيئا من ذلك ولا تتبعه جملة، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم اللدنية وغرائبها، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التي هي من قبيل القدرة التي تكون للمؤمنين في الجنة، فتكون في هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت في الآخرة، فتكون كليتك قدرة، تسمع بالله، وتنطق بالله، وتبصر بالله، وتبطش بالله، وتسعى بالله، وتعقل بالله، وتطمئن وتسكن بالله، فتعمى عن سواه وتصم عنه، فلا ترى لغيره وجودا مع حفظ الحدود والأوامر والنواهي، فإن انخرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين، وارجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأي الهوى، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة والله أعلم.

٤٢ المقالة الحادية والأربعون مثل في الفناء وكيفيته

المقالة الحادية والأربعون مثل في الفناء وكيفيته

قال رضي الله عنه وأرضاه: نضرب لك مثلا في الفناء فنقول: ألا ترى أن الملك يولي رجلا من العوام ولاية على بلدة من البلاد، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على برهة من الزمان، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته، وعجب به ونسي حالته الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك في أشر ما كان من أمره، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدي أمره ونهيه فيها، فحبسه في أضيق الحبوس وأشدها، وطال حبسه ودام ضره وذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه، وكل ذلك في عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان إليه، والخلعة عليه ورد الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهنأة وكذلك المؤمن إذا قربه الله إليه واجتباه فتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض، وتقريب وكلام لذيذ لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمى إلى قلبه قذفا من مكان بعيد فتظهر على لسانه، ومع ذلك يسبغ عليه نعمه ظاهرة على جسده وجوارحه، في المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة؛ فيديم الله عزّ وجلّ ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان، حتى اطمأن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب

البلايا وأنواع المحن في النفس والمال والأهل والولد والقلب، فينقطع عنه جميع ما كان أنعم الله عليه من قبل، فيبقى متحيرا حسيرا منكسرا مقطوعا به.
إن نظر إلى ظاهره رأى ما يسوؤه، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى ما يحزنه، وإن سأل الله تعالى كشف ما به من الضر لم ير إجابته، وإن طلب وعدا جميلا لم يجده سريعا وإن وعد بشيء لم يعثر على الوفاء به، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلا، وإن ظهرت له في ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدي الخلق على جسمه

٤٣ المقالة الثانية والأربعون في بيان حالتي النفس

وألسنتهم على عرضه، وإن طلب الإقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتباء لم يقل، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتنعم بما به من البلاء لم يعط فحينئذ تأخذ النفس في الذوبان والهوى في الزوال والإرادة والأماني في الرحيل والأكوان في التلاشي، فيدام له ذلك بل يزداد تشديدا وعصرا وتأكيدا، حتى إذا فني العبد من الأخلاق الإنسانية والصفات البشرية وبقي روحا فقط يسمع نداء في باطنه {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ (٤٢)} [ص: الآية ٤٢] كما قيل لسيدنا أيوب عليه السلام، فيمطر الله عزّ وجلّ في قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته، ويحييه بروحه ويطيبه بمعرفته ودقائق علومه، ويفتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلاله، وأطلق إليه الأيدي بالبذل والعطاء والخدمة في سائر الأحوال والألسن بالحمد والثناء، والذكر الطيب في جميع المحال، والأرجل بالترحال، وذلل له وسخر له الملوك والأرباب، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه، وأدام له ذلك إلى اللقاء، ثم يدخله فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال جلّ وعلا: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)} [السّجدة: الآية ١٧].
المقالة الثانية والأربعون في بيان حالتي النفس
قال رضي الله عنه وأرضاه: النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية، وحالة بلاء، فإذا كانت في بلاء فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لا صبر ولا رضى ولا موافقة، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر، وإذا كانت في عافية فالشره والبطر واتباع الشهوات واللذات، كلما نالت شهوة طلبت أخرى، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبا ونقصا، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها، وتعرض عما قسم لها، فتوقع الإنسان في تعب طويل، ولا ترضى بما في يديها وما قسم لها، فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا، ثم في العقبى، كما قيل: إن من أشد العقوبات طلب ما لا يقسم. وإذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولا تطلب شيئا منها، فإذا عوفيت منها
رجعت إلى رعونتها وشرها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وأنهما كها في معاصيه، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر وما حل بها من الويل، فترد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضر، لما اجترحت وركبت من العظائم فطما لها وكفا عن المعاصي في المستقبل، إذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف ابلية ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا وأخرى، وكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضى من الله عزّ وجلّ والطيبة والتوفيق، فمن أراد السلامة في الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا، وترك الشكوى إلى الخلق وإنزال حوائجه بربه عزّ وجلّ ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه والانقطاع إليه عزّ وجلّ، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه، حرمانه عطاء، عقوبته نعماء، بلاؤه دواء، وعده نقد، قوله فعل مشيئة حاله، إنما قوله وأمره {إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: الآية ٨٢] كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة، غير أنه طوي علم المصالح من عباده وتفرد به، فالأولى واللائق بحاله والرضى والتسليم، واشتغاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهي

والتسليم في القدر، وترك الاشتغال في الربوبية التي هي علة الأقدار ومحاربتها، والسكوت عن لم وكيف ومتى؟ والتهمة للحق عزّ وجلّ في جميع حركاته وسكناته، وتستند هذه الجملة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ما روي عن عطاء بن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لي يا غلام: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد العباد أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل، وإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خيرا كثيرا. واعلم أن النصرة بالصبر والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا» (١) فينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره وحديثه، فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما، برحمة الله عزّ وجلّ.

---

١) رواه الترمذي (٤/ ٦٦٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣)، والضياء في المختارة (١٠/ ٢٤)، وأحمد في المسند (١/ ٢٩٣).

٤٤ المقالة الثالثة والأربعون في ذم السؤال من غير الله تعالى

٤٥ المقالة الرابعة والأربعون في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

٤٦ المقالة الخامسة والأربعون في النعمة والابتلاء

المقالة الثالثة والأربعون في ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدّس الله سرّه: ما سأل الناس من سأل إلا لجهله بالله عزّ وجلّ وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره، وما تعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عزّ وجلّ وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه عزّ وجلّ في كل يوم ولحظة وحياته منه عزّ وجلّ.

المقالة الرابعة والأربعون في سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدّس الله سرّه: إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عزّ وجلّ ويوفي له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك، لأن ما من حالة ومقام إلا ولذاك خوف ورجاءهما كجناحي طائر لا يتم الإيمان إلا بهما وكذلك الحال والمقام، غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لا يريد شيئا سوى مولاه عزّ وجلّ ولا يركن ولا يطمئن إلى غيره عزّ وجلّ، ولا يستأنس بغيره، فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ما هو بصدده ولائق بحاله ففي ذلك أمران اثنان:

أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه عزّ وجلّ فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك، والآخر شركه بربه عزّ وجلّ بشيء سواه، إذ لا معصوم في العالم في الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فلا يجيبه ولا يوفي له كيلا، يسأل عادة ويريده طبعا لا امتثالا للأمر، لما في ذلك من الشرك والشرك كبيرة في الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها.

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قربا كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والنوافل، لأنه يكون في ذلك ممتثلا للأمر.

المقالة الخامسة والأربعون في النعمة والابتلاء

قال رضي الله عنه وأرضاه: إن الناس رجلان: منعم عليه، ومبتلي بما قضى ربه عزّ وجلّ، فالمنعم لا يخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه، فهو في أنعم ما يكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع

والمصائب في النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغني قائما بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو في حال النعماء كأن لا بلاء في الوجود، كل ذلك لجهله بمولاه عزّ وجلّ {فَعَّالٌ

لِما يُرِيدُ﴾ [هود: الآية ١٠٧] يبدل، ويحلي ويمر، ويغني ويفقر، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، ويقدم ويؤخر. لما اطمأن إلى ما به من النعيم، ولما اغتر به. ولما أيس من الفرج في حالة البلاء، وبجهله أيضا بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء لا يشوبه كدر، ونسي أنها دار بلاء وتنغيص، وتكاليف وتكدير وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهي كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلو، لا يصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلي له نعيمها، إنما يعطي الأجير أجره بعد عروق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه في خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العليا من عسل في ظرف مشوبة بمرارة، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منه إلا بعد تناول الصحفة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الرب عزّ وجلّ وانتهاء نواهيه، والتسليم والتفويض فيما يجري به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله، وخالف هواه وترك مراده. أعقبه الله عزّ وجلّ بذلك طيب العيش في آخر عمره والدلال والراحة والعزة، ويتولاه ويغذيه كما يغذى الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة في الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من الصحفة العليا من الغسل يأكله من قرار الظرف، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لا يأمن مكر الله عزّ وجلّ، فيغتر بالنعمة ويقطع بدوامها، ويغفل عن شكرها ويرخي قيدها بتركه لشكرها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «النعمة وحشية فقيدوها بالشكر» (١) فشكر نعمة المال الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عزّ وجلّ والتحدث بها لنفسه في سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته عزّ وجلّ وأن لا يتملك عليه ولا يتجاوز حده فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة وإغاثة الملهوف، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها في الشدائد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات، أعني ساعات النعيم

---

١) لم أقف عليه.

والرخاء بالبأساء والضراء. وشكر نعمة العافية في الجوارح والأعضاء في الاستعانة بها على الطاعات والكف عن المحارم والسيئات والمعاصي والآثام، فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب، وسقي شجرتها وتنمية أغصانها وأوراقها، وتحسين ثمرتها. حلاوة طعمها، وسلامة عاقبتها، ولذة مضغها، وسهولة بلعها، وتعقب عافيتها وريعها في الجسد، ثم ظهور بركتها على الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار، ثم دخول العبد بعد ذلك في الآخرة في رحمة الله عزّ وجلّ.

والخلود في الجنان مع النبيين - والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - فإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبما ذاق من لذتها، واطمأن إلى بريق سرابها وما لاح من بريقها وما هب من نسيم أول نهار قيظها، ونعومة جلود حياتها وعقاربها، وغفل وعمي عن سمومها القاتلة المودعة في أعماقها، ومكامنها ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه وهلاكه، فليهنأ للردى وليستبش بالعطب والفقر العاجل، مع الذل والهوان في الدنيا والعذاب الآجل في النار ولظى.

وأما المبتلي. فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها وأخرى يبتلى تكفيرا وتمحيصا، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولي العلم من أهل الحالات والمقامات، مما سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات، وسيرهم مولاهم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطاف، وروحهم بنسيم النظرات واللحظات في الحركات والسكنات، إذ لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء في الدركات، ولكن اختبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخراج بها منهم حقيقة الإيمان وصفاها وميزها من الشرك والدعاوى والنفاق، ونحلهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من الخلص الخواص، ائتمنهم على أسراره، وارتضاهم لمجالسته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الفقراء الصبراء جلساء الرحمن يوم القيامة» (١) دنيا وأخرى في الدنيا بقلوبهم وفي الآخرة بأجسادهم، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك، والتعلق بالخلق والأسباب والأماني والإرادات، وذوابة لها وسباكة من الدعاوى والهوسات، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات في الآخرة في الفردوس والجنات.

---

١) لم أقف عليه.

٤٧ المقالة السادسة والأربعون في قوله صلى الله عليه وسلم عن الحديث القدسي «من شغله ذكري. . .» إلى آخره

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر عند وجودها والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات.
وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصا للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات.
وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق، وطمأنينة النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات.

المقالة السادسة والأربعون في قوله صلى الله عليه وسلم عن الحديث القدسي «من شغله ذكري...» (١) إلى آخره

قال رضي الله عنه وأرضاه: في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن ربي عزّ وجلّ: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عزّ وجلّ اصطفاءه واجتباءه، سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى ويضطره إلى مسألة الخلق في الرزق عند سد جهاته عليه، ثم يصونه عن مسألتهم ويضطره إلى الكسب ويسهله عليه وييسره له فيأكل بالكسب الذي هو السنة، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصيته في تركه، ليزول بذلك هواه وتنكسي نفسه وهي حالة الرياضة فيكون سؤاله على وجه الإجبار لا على وجه الشرك بالجبار، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالفرض منهم أمرا جزما لا يمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم، فيجعل رزقه في السؤال له عزّ وجلّ فيسأله جميع ما يحتاج إليه فيعطيه عزّ وجلّ ولا يقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال بالقلب فيسأله بقلبه جميع ما يحتاج فيعطيه حتى أنه لو سأله بلسانه لم يعطه أو سأل الخلق لم يعطوه، يغنيه عنه وعن السؤال جملة ظاهرا وباطنا. فيناديه بجميع ما يصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله. فيتولاه عزّ وجلّ وهو

---
١) رواه الترمذي (٥/ ١٨٤)، والدارمي (٢/ ٢٣٨)، والقضاعي في الشهاب (١/ ٣٤٠)، (٢/ ٣٢٦).

٤٨ المقالة السابعة والأربعون في التقرب إلى الله تعالى

٤٩ المقالة الثامنة والأربعون فيما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قوله عزّ وجلّ: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)} [الأعراف: الآية ١٩٦] فيتحقق حينئذ قوله عزّ وجلّ: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» وهي حالة الفناء التي هي غاية أحوال الأولياء والأبدال ثم قد يرد إلى التكوين فيكون جميع ما يحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا في بعض كتب: «يا ابن آدم أنا الله الذي لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون».

المقالة السابعة والأربعون في التقرب إلى الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: سألني رجل شيخ في المنام فقال: أي شيء يقرب العبد إلى الله عزّ وجلّ؟ فقلت: لذلك ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الورع وانتهاؤه الرضى والتسليم والتوكّل.

المقالة الثامنة والأربعون فيما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به

قال رضي الله عنه وأرضاه: ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولا بالفرائض، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل، فما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق ورعونة، فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين، فمثله مثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتي إليه ويقف في خدمة الأمير الذي هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته.
عن أمير المؤمنين سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مثل مصلي النوافل قبل الفرائض كمثل حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولادة» (١). كذلك المصلي لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدي الفريضة. ومثل المصلي كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، وكذلك المصلي بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عزّ وجلّ في خلقه، الاعتراض عليه في

____
١) رواه البيهقي في الكبرى (٢/ ٣٨٧).

٥٠ المقالة التاسعة والأربعون في ذمّ النوم

٥١ المقالة الخمسون في علامة دفع العبد عن الله تعالى، وبيان كيفية التقرب منه تعالى

قدره وقضائه وإجابة الخلق وطاعتهم، والإعراض عن أمر الله عزّ وجلّ وطاعته. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (١).
المقالة التاسعة والأربعون في ذمّ النوم
قال رضي الله عنه وأرضاه: من اختار النوم على الذي هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت ولهذا لا يجوز النوم على الله لما انتفى عزّ وجلّ عن النقائص أجمع، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عزّ وجلّ نفى النوم عنهم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصا في حالتهم، فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة، فمن أكل بهواه أكل كثيرا فشرب كثيرا فنام كثيرا فندم كثيرا طويلا وفاته خير كثير، ومن أكل قليلا من الحرام كان كمن أكل كثيرا من المباح بهواه، لأن الحرام يغطي الإيمان ويظلمه كالخمر يظلم العقل ويغطيه، فإذا أظلم الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص، ومن أكل من الحلال كثيرا بالأمر كان كمن أكل منه قليلا في النشاط في العبادة والقوة، فالحلال نور في نور، والحرام ظلمة في ظلمة، لا خير فيه. أكل الحلال بهواه بغير الأمر، وأكل الحرام مستجلبان للنوم، فلا خير فيه.
المقالة الخمسون في علامة دفع العبد عن الله تعالى، وبيان كيفية التقرب منه تعالى
قال رضي الله عنه وأرضاه: لا يخلو أمرك من قسمين:
إما أن تكون غائبا عن القرب من الله أو قريبا منه وأصلا إليه، فإن كنت غائبا عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعيم والعز الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال في الدنيا والأخرى؟ فقم وأسرع في الطيران إليه عزّ وجلّ بجناحين: أحدهما: ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع.
والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزيمة والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب، فتجد عند ذلك جميع ما

____
١) رواه الترمذي (٤/ ٢٠٩)، وأحمد في المسند (١/ ١٣١).

٥٢ المقالة الحادية والخمسون في الزّهد

تمنى، وتحصل لك الكرامة العظمى والعزة الكبرى فإن كنت من المقربين الواصلين إليه عزّ وجلّ ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرأفة، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنت فيه، فتقصر في الخدمة، ولا تخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والعجل في قوله تعالى: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: الآية ٧٢]، وقوله تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء: الآية ١١]، واحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وترك الصبر والموافقة والرضا عند نزول البلاء، واستطرح بين يدي الله عزّ وجلّ كالكرة بين يدي الفارس يقلبها بصولجانه، والميت بين يدي الغاسل، والطفل الرضيع في حجر أمه وظئره، تعامى عمن سواه عزّ وجلّ فلا ترى لغيره وجودا ولا ضرّا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا، اجعل الخليقة والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عزّ وجلّ يضربك به، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها.

المقالة الحادية والخمسون في الزّهد

قال رضي الله عنه وأرضاه: الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين يثاب في تركها أولا، فلا يأخذها بهواه وموافقة النفس، بل يأخذها بمجرد الأمر، فإذا تحققت عداوته لنفسه ومخالفته لهواه عد من المحققين وأهل الولاية وأدخل في زمرة الأبدال والعارفين أمر حينئذ بتناولها والتلبس بها، إذ هي قسمة لا بد له منها لم تخلق لغيره، جف بها القلم وسبق بها العلم، فإذا امتثل الأمر فتناول أو اطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر والفعل فيه من غير أن يكون هو فيه، لا هوى ولا إرادة ولا همة أثيب بذلك ثانيا، هو ممتثل للأمر بذلك أو موافق لفعل الحق عزّ وجلّ فيه.

فإن قال قائل: كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو في المقام الأخير الذي ذكرته من أنه أدخل في زمرة الأبدال والعارفين المفعول فيهم، الفانين عن الخلق والأنفس والأهوية والإرادات والحظوظ والأماني والأعواض على الأعمال الذين يرون جميع طاعاتهم وعباداتهم فضلا من الله عزّ وجلّ ونعمة ورحمة وتوفيقا وتيسيرا منه عزّ وجلّ ويعتقدون أنهم عبيد الله عزّ وجلّ، والعبد لا يستحق على مولاه حقّا، إذ هو برمته مع حركاته وسكناته وأكسابه ملك لمولاه، فكيف يقال في حقه يثاب وهو لا يطلب ثوابا ولا عوضا على فعله ولا يرى له عملا، بل يرى نفسه من البطالين وأفلس المفلسين من الأعمال.

٥٣ المقالة الثانية والخمسون في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

٥٤ المقالة الثالثة والخمسون في الأمر بطلب الرضى من الله، والفناء به تعالى

فنقول: صدقت، غير أن الله عزّ وجلّ يواصله بفضله ويدلله بنعمه ويربيه بلطفه ورأفته وبره ورحمته وكرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه وطلب الحظوظ لها وجلب النفع إليها ودفع الضر عنها، فهو كالطفل الرضيع الذي لا حراك له في مصالح نفسه وهو مدلل بفضل الله عزّ وجلّ ورزقه الدار على يدي والديه الوكيلين الكفيلين، فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه وأوجد رحمة وشفقة له في القلوب حتى كل واحد يرحمه ويتعطف عليه ويبره، فهكذا الكل فإن عن سوى الله الذي لا يحركه غير أمره أو فعله مواصل بفضل الله عزّ وجلّ دنيا وأخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولي، قال تعالى: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)} [الأعراف: الآية ١٩٦].

المقالة الثانية والخمسون في سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضي الله عنه وأرضاه: إنما يبتلي الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم، فإذا سألوا يجب إجابتهم فيعطي الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه عزّ وجلّ عند سؤال المؤمنين من الإجابة، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان، فليتأدب العبد عند نزول البلاء، وليفتش عن ذنوبه في

ترك الأوامر وارتكاب المناهي ما ظهر منها وما بطن. والمنازعة في القدر إذا تعاقب عليه، إنما يبتلى بذلك مقابلة، فإن انكشف البلاء، وإلا، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه، والله أعلم.
المقالة الثالثة والخمسون في الأمر بطلب الرضى من الله، والفناء به تعالى
قال رضي الله عنه وأرضاه: اطلبوا من الله عزّ وجلّ الرضا أو الفناء، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفرة في الدنيا، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن، فمن أحبه الله لم يعذبه في الدنيا والآخرة فيه اللحوق بالله عزّ وجلّ والوصول إليه، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت، فإن كانت لم تقسم فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة، وهو أشد العقوبات، كما قيل؛ من أشد

٥٥ المقالة الرابعة والخمسون فيمن أراد الوصول إلى الله تعالى وبيان كيفية الوصول إليه تعالى

العقوبات طلب ما لا يقسم وإن كانت مقسومة فالاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة الحقيقية، لأن الاشتغال بغير الله عزّ وجلّ شرك، وطالب الحظ ليس بصادق في محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص، وإنما المخلص من عبد الله ليعطي الربوبية حقها للمالكية والحقيقة، لأن الحق عزّ وجلّ يملكه ويستحق عليه العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه، والعبد وما في يده ملك لمولاه كيف وقد بينا في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها، فالاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ وقد ترى خلقا كثيرا كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابعت اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة همومهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم وانحلت قواهم، وكبرت سنهم وشتتت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظائم الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم فلم ينالوها وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا شكروا ربهم فيما قسم لهم من أقسامهم فاستعانوا بها على طاعته. وما نالوا ما طلبوا من أقسام غيرهم، بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم، فهم أشر الخليقة وأجهلهم وأحمقهم وأخسهم عقولا وبصيرة، فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء، ثم نقلوا إلى جوار العلي الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومنى، جعلنا الله وإياكم ممن رضي بالقضاء، وجعل سؤاله ذلك والفناء وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى.
المقالة الرابعة والخمسون فيمن أراد الوصول إلى الله تعالى وبيان كيفية الوصول إليه تعالى
قال رضي الله عنه وأرضاه: من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، ومن أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة، فيترك دنياه لآخرته وآخرته لربه، فما دام في قلبه شهوة من شهوات الدنيا ولذة من لذاتها وطلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول أو مشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب، وولاية، ورياسة وطبقة في علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس، ورواية الحديث وقراءة القرآن

٥٦ المقالة الخامسة والخمسون في ترك الحظوظ

برواياته، والنحو واللغة والفصاحة والبلاغة، وزوال الفقر ووجود الغنى وذهاب البلية ومجيء العافية، وفي الجملة انكشاف الضر ومجيء النفع فليس بزاهد حقّا لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة النفس وموافقة الهوى وراحة الطبع وحب له، وكل ذلك من الدنيا ومما يحبب البقاء فيها ويحصل السكون والطمأنينة إليها، فينبغي أن يجاهد في إخراج جميع ذلك عن القلب، ويأخذ نفسه بإزالة ذلك وقلعه والرضا بالعدم والإفلاس والفقر الدائم، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده في الدنيا، فإذا تم له ذلك زالت الغموم

والأحزان من القلب والكرب عن الحشا، وجاءت الراحات والطيب والأنس بالله كما قال صلى الله عليه وسلم: «الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد» (١) فما دام في قلبه شيء من ذلك فالهموم والخوف والوجل قائم في القلب والخذلان لازم له، والحجاب عن الله عزّ وجلّ وعن قربه متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا بزوال حب الدنيا على الكمال وقطع العلائق بأثرها، ثم يزهد في الآخرة، فلا يطلب الدرجات والمنازل العاليات والحور والولدان والدور والقصور والبساتين والمراكب، والخيل والحلى والمآكل والمشارب وغير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين، فلا يطلب على عمله جزاء أو أجرا من الله عزّ وجلّ البتة لا دنيا ولا أخرى، فحينئذ يجد الله عزّ وجلّ فيؤتيه حسابه تفضلا منه ورحمة، فيقربه منه ويدنيه ويلطف به ويتعرف إليه بأنواع ألطافه وبره كما هو دأبه عزّ وجلّ مع رسله وأنبيائه وأوليائه وخواصه وأحبابه أولى العلم به عزّ وجلّ فيكون العبد كل يوم في مزيد أمره مدّة حياته. ثم ينتقل إلى دار الآخرة إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مما تضيق عنه الأفهام وتعجز عن وصفه العبارات، والله أعلم.

المقالة الخامسة والخمسون في ترك الحظوظ

قال رضي الله عنه وأرضاه: ترك الحظوظ ثلاث مرات: الأولى يكون العبد مارا في عشواه متخبطا فيه متصرفا بطبعه في جميع أحواله من غير تعبد لربه ولازم في الشرع يرده ولا جده من جدود ينتهي إليه عن حكمه، فبينما هو على ذلك ينظر الله

----

١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ١٧٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٦)، وقال: فيه أشعث بن نزار ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

إليه يعني يرحمه، فيبعث الله إليه واعظا من خلقه من عباده الصالحين فينبهه، ويثنيه بواعظ من نفسه، فيتضافر الواعظان على نفسه وطبعه، فتعمل الموعظة عملها، فتبين عندها عيب ما هي فيه من ركوب مطية الطبع والمخافة فتميل إلى الشرع في جميع تصرفاتها فيصير العبد مسلما قائما مع الشرع فانيا عن الطبع، فيترك حرام الدنيا وشبهاتها ومنن الخلق، فيأخذ مباح الحق عزّ وجلّ وحلال الشرع في مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وجميع ما لا بد منه، لتحتفظ البنية ويتقوى على طاعة الرب عزّ وجلّ، وليستوفي قسمه المقسوم له الذي لا يتجاوزه ولا سبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله والتلبس به واستيفائه فيسير على مطية المباح والحلال في الشرع في جميع أحواله تنتهي به هذه المطية إلى عتبة الولاية والدخول في زمرة المحققين والخواص أهل العزيمة مريدي الحق، فيأكل بالأمر، فحينئذ يسمع نداء من قبل الحق عزّ وجلّ من باطنه: اترك نفسك وتعال، اترك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق، واخلع نعليك، ودنياك وآخرتك، وتجرد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأماني بأسرها، وتعر عن الجميع وافن عن الكل وتطيب بالتوحيد واترك الشرك وصدق الإرادة. ثم وطء البساط بالأدب مطرقا، لا تنظر يمينا إلى الآخرة ولا شمالا إلى الدنيا ولا إلى الخلق ولا إلى الحظوظ، فإذا دخل في هذا المقام، وتحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عزّ وجلّ، وغشيته أنواع المعارف والعلوم وأنواع الفضل، فيقال له: تلبس بالنعم والفضل ولا تسيء الأدب بالرد وترك التلبس، لأن رد نعم الملك افتئاتا على الملك واستخفافا بحضرته وحينئذ يتلبس بالفضل والقسمة بالله من غير أن يكون هو فيه ومن قبل كأن يتلبس بهواه ونفسه فله أربع حالات في تناول الحظوظ والأقسام.

الأولى بالطبع وهو الحرام. والثانية بالشرع وهو المباح والحلال. والثالثة بالأمر وهي حالة الولاية وترك الهوى. والرابعة بالفضل وهي حالة زوال الإرادة وحصول البدلية وكونه مرادا قائما مع القدر الذي هو فعل الحق وهي حالة العلم والاتصاف بالصلاح، فلا يسمى صالحا على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام، وهو قوله تعالى: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)} [الأعراف: الآية ١٩٦] فهو العبد الذي كفت يده عن جلب مصالحه ومنافعه وعن رد مضاره ومفاسده، كالرضيع مع الظئر، والميت الغسيل مع الغاسل، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار وتدبير، فإن عن جميع ذلك لا حالا ولا مقاما ولا إرادة، بل القيام مع القدرة، تارة يبسط وتارة يغنى وتارة يفقر، ويختار ولا يتمنى زوال ذلك

٥٧ المقالة السادسة والخمسون في فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأماني

٥٨ المقالة السابعة والخمسون في عدم المنازعة في القدر والأمر بحفظ الرضا به

وتغيره، بل الرضى الدائم والموافقة الأبدية، فهو آخر ما تنتهي إليه أحوال الأولياء قدست أسرارهم.
المقالة السادسة والخمسون في فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأماني
قال رضي الله عنه وأرضاه: إذا فني العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأماني دنيا وأخرى ولم يرد إلا الله عزّ وجلّ وخرج الكل عن قلبه وصل إلى الحق، واصطفاه واجتباه، وأحبه وحببه إلى خلقه، وجعله يحبه ويحب قربه، ويتنعم بفضله ويتقلب في نعمه وفتح عليه أبواب رحمته، ووعده أن لا يغلقها عنه أبدا «فيختار العبد حينئذ الله، ويدبر بتدبيره ويشاء بمشيئته، ويرضى برضاه ويمتثل أمره دون غيره»، ولا يرى لغيره عزّ وجلّ وجودا ولا فعلا، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعد ثم لا يظهر للعبد وفاء بذلك، ولا يغير ما قد توهمه من ذلك، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى والإرادة فصار في فعل الله عزّ وجلّ وإرادته فيصير الوعد حينئذ في حقه مع الله عزّ وجلّ كرجل عزم على فعل شيء في نفسه ونواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ والمنسوخ فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عزّ وجلّ: {*ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَاتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)} [البقرة: الآية ١٠٦]، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم منزوع الهوى والإرادة سوى المواضع التي ذكرها الله عزّ وجلّ في القرآن من الأسر يوم بدر {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} [الأنفال: الآية ٦٧]، و {لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (٦٨)} [الأنفال: الآية ٦٨] كذا قالوا، وغيره وهو مراد الحق عز جل لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه في القدر وقلبه منها، نبهه بقوله تعالى: {أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: الآية ١٠٦] يعني أنك في بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا، فمنتهى أمر الولي ابتداء أمر النبي ما بعد الولاية والبدلية إلا النبوة، والله أعلم.
المقالة السابعة والخمسون في عدم المنازعة في القدر والأمر بحفظ الرضا به
قال رضي الله عنه وأرضاه: الأحوال قبض كلها، لأنه يؤمر الولي بحفظها وكل ما يؤمر بحفظه فهو قبض، والقيام مع القدر بسط كله، لأنه ليس هناك شيء يؤمر

٥٩ المقالة الثامنة والخمسون في صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل الله تعالى

بحفظه سوى كونه موجودا في القدر، فعليه أن لا ينازع في القدر بل يوافق ولا ينازع في جميع ما يجري عليه مما يحلو ويمر. الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدودها، والفضل الذي هو القدر غير محدود فيحفظ.
وعلامة أن العبد دخل في مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال في الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها، لأنه لما خلا باطنه من الحظوظ ولم يبق فيه غير الرب عزّ وجلّ بوسط فأمر بالسؤال والتشهي وطلب الأشياء التي هي قسمه، ولا بد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله، ليستحقّ كرامته عند الله عزّ وجلّ ومنزلته، وامتنان الحق عزّ وجلّ عليه بإجابته إلى ذلك، والإطلاق بالسؤال في عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف في حفظ الحدود.
فإن قيل: هذا يدل على زوال التكلف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام، ورد قوله عزّ وجلّ: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَاتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)} [الحجر: الآية ٩٩]، قيل لا يدل على ذلك ولا يؤدي إليه بل الله أكرم ووليه أعز عليه من أن يدخله في مقام النقص والقبيح في شرعه ودينه، بل يعصمه من جميع ما ذكر وبصرفه عنه ويحفظه وينبهه ويسدده لحفظ الحدود، فتحصل العصمة وتحفظ الحدود

من تكليف منه ومشقة، وهو عن ذلك في غيبة في القرب. قال عزّ وجلّ: {كَذلكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية ٢٤]، وقال عزّ وجلّ: {إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ} [الحجر: الآية ٤٢]، وقال تعالى: {إِلَّا عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)} [الصّافات: الآية ٤٠] يا مسكين هو محمول الرب وهو مراده، وهو يربيه في حجر قربه ولطفه، أنى يصل الشيطان إليه وتتطرق القبائح والمكاره في الشرع نحوه؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولا فظيعا، تبّا لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة والآراء الفاسدة المتخلخلة، أعاذنا الله والإخوان من الضلالة المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه.

المقالة الثامنة والخمسون في صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: تقام عن الجهات كلها ولا تبصبص على شيء منها، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح لك جهة فضل الله عزّ وجلّ وقربه،

٦٠ المقالة التاسعة والخمسون في الرّضا على البليّة، والشكر على النعمة

فسد الجهات جميعا بتوحيده وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم، فتراها بعيني رأسك إذ ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التي في البيت المظلم في الليلة الظلماء، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه، فتسكن النفس والجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره ووعد غيره عزّ وجلّ.

وارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها في ظلمات جهلك ورعونتك، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب فتوكل إليها، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عزّ وجلّ عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عزّ وجلّ، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه، قربك وأدناك، ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك، وداواك وعافاك، وأعطاك وأغناك، فلا ترى بعد ذلك لا فقرك ولا غناك.

المقالة التاسعة والخمسون في الرّضا على البليّة، والشكر على النعمة

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تخلو حالتك إما أن تكون بلية أو نعمة. فإن كانت بلية فتطالب فيها بالتصبر، وهو الأدنى، والصبر وهو أعلى منه. ثم الرضا والموافقة، ثم الفناء، وهو للأبدال، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها. والشكر باللسان والقلب والجوارح.

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله عزّ وجلّ: «وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها، وإن قاسمها ومجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عزّ وجلّ والقاسم هو الله» والمجرى هو والموجد هو، فهو أحق بالشكر من غيره.

لأنظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى في حق من عدم هذا المنظر {يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ (٧)} [الرّوم: الآية ٧] فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص قاصر العقل، إنما سمي العاقل عاقلا لنظره في العواقب.

وأما الشكر بالقلب، فبالاعتقاد الدائم. والعقد الوثيق الشديد المتبرم.

إن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عزّ وجلّ لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبرا عما في قلبك. وقد قال عزّ وجلّ: {وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ} [النّحل: الآية ٥٣]، وقال تعالى: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً} [لقمان: الآية ٢٠]، وقال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها} [إبراهيم: الآية ٣٤] فمع هذا لا يبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى.

و أما الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عزّ وجلّ دون غيره من الخلق، فلا تجيب أحدا من الخلق، فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة، تجعل طاعة الله أصلا ومتبوعا وإماما وما سواها فرعا وتابعا ومأموما، فإن فعلت غير ذلك كنت جائرا ظالما حاكما بغير حكم الله عزّ وجلّ الموضوع لعباده المؤمنين، وسالكا غير سبيل الصالحين. قال الله عزّ وجلّ: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ} [المائدة: الآية ٤٤]، وفي آية أخرى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ} [المائدة: الآية ٤٥]، وفي أخرى: {هُمُ الفاسِقُونَ} [النّور: الآية ٥٥] فيكون انتهاؤك إلى التي وقودها الناس والحجارة، وأنت لا تصبر على حمى ساعة في الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها، فكيف صبرك على الخلود في الهاوية مع أهلها النجا النجا، الوحا الوحا، الله الله، احفظ الحالتين وشروطهما، فإنك لا تخلو في جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر على ما بينت لك، فلا تشكون في حالة البلية إلى أحد من خلق الله، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك. ولا تشكن في حكمته واختر الأصلح لك في دنياك، وآخرتك، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافاتك فذاك إشراك منك به عزّ وجلّ، لا يملك معه عزّ وجلّ في ملكه أحد شيئا لا ضار ولا نافع ولا دافع، ولا جالب ولا مسقم ولا مبلى، ولا معاف ولا مبرئ غيره عزّ وجلّ، فلا تشتغل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، بل ألزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عزّ وجلّ، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عزّ وجلّ، والتضرّع من شؤم النفس، ونزاهة الحق عزّ وجلّ والاعتراف له بالتوحيد بالنعيم، والتبري من الشرك، وطلب الصبر والرضا والموافقة، إلى حين يبلغ الكتاب أجله، فتزول البلية وتنكشف الكربة، وتأتي

٦١ المقالة الستون في البداية والنهاية

النعمة والسعة والفرحة والسرور، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام، كما يذهب سواد الليل ويأتي بياض النهار، ويذهب برد الشتاء ويأتي نسيم الصيف وطيبه لأن لكل شيء ضدّا وخلافا وغاية وبدءا ومنتهى، فالصبر مفتاحه وابتداؤه وانتهاؤه وجماله كما جاء في الخبر «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد». وفي لفظ «الصبر الإيمان كله». وقد يكون الشكر هو التلبس بالنعم وهي أقسامه المقسومة لك، فشكر التلبس بها في حال فنائك، وزوال الهوى والحمية والحفظ، وهذه حالة الأبدال وهي المنتهى، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى.
المقالة الستون في البداية والنهاية

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: البداية. هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور، ثم الرجوع إلى المعهود. ويشترط حفظ الحدود، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: {وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: الآية ٧]، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ} [آل عمران: الآية ٣١] فتفنى عن هواك ونفسك ورعونتها في ظاهرك وباطنك فلا يكون في باطنك غير توحيدك له وفي ظاهرك غير طاعة الله وعبادته مما أمر ونهى، فيكون هذا دأبك وشعارك ودثارك في حركتك وسكونك، في ليلك ونهارك، وسفرك وحضرتك، وشدتك ورخائك، وصحتك وسقمك، وأحوالك كلها، ثم تحمل إلى وادي القدر فيتصرف فيك القدر، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك، فتساق إليك الأقسام التي جف بها القلم وسبق بها العلم، فتلبس بها وتعطي منها الحفظ والسلام فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولي، ولا تخرق قاعدة الشرع إلى الزندقة وإباحة المحرم قال تعالى: {إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ (٩)} [الحجر: الآية ٩]، وقال تعالى: {كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية ٢٤] فتصحب الحفظ والحمية وإنما هي أقساما معدة لك، فحبسها عنك في حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافي الطبع

ومفاوز الهوى المعهود، لأنها أثقال أحمال ما زيحت عنك، لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين الوصول إلى عتبة

٦٢ المقالة الحادية والستون في التوقف عند كل شيء حتى يتبين له إباحة فعله

الفناء، وهو الوصول إلى قرب الحق عزّ وجلّ والمعرفة به، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية، والدخول في بحار الأنوار، حيث لا تضر ظلمة الطبائع والأنوار، فالطبع باق إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام، إذ لو زال الطبع من الآدمي لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة، فبقي الطبع يستوفي الأقسام والحظوظ، فيكون ذلك وظائفا لا أصليًا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» فلما فني النبي صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه في حال سيره إلى ربه عزّ وجلّ، فاستوفاها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممتثلا لأمره، قدست أسمائه وعمت رحمته، شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فهكذا الولي في هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حفظ الحدود، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية، والله أعلم.

المقالة الحادية والستون في التوقف عند كل شيء حتى يتبين له إباحة فعله

قال رضي الله عنه وأرضاه: كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عند حضور الأقسام عن التناول والأخذ، حتى يشهد له الحكم بالإجابة، والعلم بالقسمة، والمؤمن فتاش والمنافق لقاف. وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن وقاف» (١). وقال صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (٢) فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وسائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ والتناول كحكمه إذا كان في حالة التقوى. أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان في حالة الولاية. أو حتى يحكم العلم في حالة البدلية والغوثية، والفعل الذي هو القدر المحض وهي حالة الفناء، ثم تأتيه حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه ويفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من التناول، فهي ضد الأولى.

ففي الأولى الغالب عليه التوقف والتثبت. وفي الثانية الغالب عليه التناول والأخذ والتلبس بالفتوح. ثم تأتي الحالة الثالثة.

---

١) رواه البيهقي في الكبرى (٢/ ٣٤١).

٢) رواه البخاري (٢/ ٧٢٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٥٩)، وابن حبان (٢/ ٤٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٦)، (٢/ ١٥)، والترمذي (٤/ ٦٦٨)، والدارمي (٢/ ٣١٩).

٦٣ المقالة الثانية والستون في المحبة والمحبوب وما يجب في حقهما

فالتناول المحض والتلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة وهي حقيقة الفناء، فيكون المؤمن فيها محفوظا من الآفات وخرق حدود الشرع مصانا مصروفا عنه الأسواء، كما قال الله تعالى: { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: الآية ٢٤] فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمقرض إليه المأذون له والمطلق له في الإباحات الميسر له الخير، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات والتبعات في الدنيا والآخرة، والموافق لإرادة الحق ورضاه وفعله ولا حالة فوقها وهي الغاية، وهي السادة الأولياء الكبار الخلص أصحاب الأسرار، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

المقالة الثانية والستون في المحبة والمحبوب وما يجب في حقهما

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان وبعدت، وأعطى فلان وحرمت، وأغنى فلان وأفقرت وعوفي فلان وأسقمت، وعظم فلان وحقرت، وحمد فلان وذممت، وصدق فلان وكذبت. أما يعلم أنه الواحد. وأن الواحد يحب الوحدانية في المحبة، ويحب الواحد في محبته.

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له عزّ وجلّ وشعبت فربما دخلك الميل إلى من ظهرت المواصلة والنعمة على يديه، فتنقص محبة الله في قلبك، وهو عزّ وجلّ غيور لا يحب شريكه فكف أيدي الغير عنك بالمواصلة ولسانه عن حمدك وثنائك ورجليه عن السعي إليك كيلا تشتغل به عنه، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها» (١) فهو عزّ وجلّ يكفّ الخلق عن الإحسان إليك من كل وجه وسبب حتى توحّده وتحبه، ونصير له من كل وجه بظاهرك وباطنك في حركاتك وسكناتك، فلا ترى الخير إلا منه ولا الشر إلا منه عزّ وجلّ، وتفني عن الخلق وعن النفس، وعن الهوى والإرادة والمنى، وعن جميع ما سوى المولى، ثم يطلق الأيدي إليك بالبسط والبذل والعطاء، والألسن بالحمد والثناء فيدللك أبدا في الدنيا ثم في العقبى، فلا تسيء الأدب،

١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٨١)، (٦/ ٤٨١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٠)، والحكيم فى النوادر (١/ ١٤٩).

٦٤ المقالة الثالثة والستون في نوع من المعرفة

٦٥ المقالة الرابعة والستون في الموت الذي لا حياة فيه، والحياة التي لا موت فيها

انظر إلى من ينظر إليك، وأقبل على من أقبل إليك، وأحب من يحبك واستجب من يدعوك وأعط يدك من يثبتك من سقطك ويخرجك من ظلمات جهلك، وينجيك من هلكك ويغسلك من نجاسك، وينظفك من أوساخك، ويخلصك من جيفك ونتنك، ومن أوهامك الردية، ومن نفسك الأمارة بالسوء وأقرانك الضلال المضلين شياطينك، وأخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك وبين كل نفيس وثمين وعزيز.

إلى متى المعاد، إلى متى الحق، إلى متى الهوى، إلى متى الرعونة إلى متى الدنيا، إلى متى الآخرة، إلى متى سوى المولى؟ أين أنت من خالقك والأشياء، المكون الأول الآخر الظاهر الباطن، والمرجع والمصدر إليه، وله القلوب وطمأنينة الأرواح ومحط الأثقال والعطاء والامتنان، عز شأنه.

المقالة الثالثة والستون في نوع من المعرفة

قال رضي الله عنه وأرضاه: رأيت في المنام كأني أقول يا مشرك بربه في باطنه بنفسه وفي ظاهره بخلقه وفي عمله بإرادته، فقال رجل إلى جنبي ما هذا الكلام؟ فقلت هذا نوع من المعرفة.

المقالة الرابعة والستون في الموت الذي لا حياة فيه، والحياة التي لا موت فيها

قال رضي الله عنه وأرضاه: ضاق بي الأمر يوما فتحرك في النفس، فقيل لي: ماذا تريد؟ فقلت أريد موتا لا حياة فيه وحياة لا موت فيها؟ فقيل لي: ما الموت الذي لا حياة فيه وما الحياة التي لا موت فيها؟ قلت: الموت الذي لا حياة فيه موتي عن جنسي من الخلق فلا أراهم في الضر والنفع، وموتي عن نفسي وهوائي وإرادتي ومنائي في الدنيا والأخرى فلا أحس في جميع ذلك ولا أجد.

وأما الحياة التي لا موت فيها: فحياتي بفعل ربّي عزّ وجلّ بلا وجودي فيه، والموت في ذلك وجودي معه عزّ وجلّ، فكانت هذه الإرادة أنفس إرادة أردتها منذ عقلت.

٦٦ المقالة الخامسة والستون في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

المقالة الخامسة والستون في النهي عن التسخط على الله في تأخير إجابة الدعاء

قال رضي الله عنه وأرضاه: ما هذا التسخط على ربك عزّ وجلّ من تأخير إجابة الدعاء؟ تقول حرم على السؤال للخلق وأوجب على السؤال وأنا أدعوه وهو لا يجيبني فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت: أنا حر فأنت كافر وإن قلت: أنا عبد لله، فيقال لك: أمتهم أنت لوليك في تأخير إجابة دعائك وشاك في حكمته ورحمته بك وبجميع خلقه وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له عزّ وجلّ؟ فإن كنت غير

متهم له ومقر بحكمته وإرادته ومصلحته لك وتأخير ذلك فعليك بالشكر له عزّ وجلّ، لأنه اختار لك الأصلح والنعمة ودفع الفساد، وإن كنت متهما له في ذلك فأنت كافر بتهمتك له، لأنك بذلك نسبت له الظلم وهو ليس بظلام للعبيد، لا يقبل الظلم ويستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالكك ومالك كل شيء، فلا يطلق عليه اسم الظلم، وإنما الظالم من يتصرف في ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك سبيل التسخط عليه في فعله فيك بما يخالف طبعك وشهوة نفسك وإن كان في الظاهر مفسدة لك.

فعليك بالشكر والصبر والموافقة، وترك التسخط والتهمة والقيام مع رعونة النفس وهواها الذي يضل عن سبيل الله.

وعليك بدوام الدعاء وصدق الالتجاء، وحسن الظن بربك عزّ وجلّ، وانتظار الفرج منه، والتصديق بوعده، والحياء منه، والموافقة لأمره، وحفظ توحيده والمسارعة إلى أداء أوامره، والتماوت عن نزول قدره بك وبفعله فيك، وإن كان لا بد أن تتهم وتسيء الظن فنفسك الأمارة بالسوء العاصية لربها عزّ وجلّ أولى بهما، ونسبتك الظلم إليها أحرى من مولاك. فاحذر موافقتها وموالاتها، والرضى بفعلها وكلامها في الأحوال كلها، لأنها عدوة الله وعدوتك، وموالية لعدو الله وعدوك الشيطان الرجيم، هي خليلته وجاسوسته ومصافيته، الله الله ثم الله، الحذر الحذر النجا النجا، اتهمها وأنسب الظلم إليها واقرأ عليها قوله عزّ وجلّ: {ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} [النّساء: الآية ١٤٧]، وقوله عزّ وجلّ: {إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)} [يونس: الآية ٤٤] وغيرها من الآيات والأخبار.

٦٧ المقالة السادسة والستون في الأمر بالدعاء، والنهي عن تركه

كن مخاصما لله على نفسك مجادلا لها عنه عزّ وجلّ، ومحاربا وسيافا وصاحب جنده وعسكره، فإنها أعدى عدو الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: {يا داود اهجر هواك فإنه لا منازع ينازعني في ملكي غير الهوى.

المقالة السادسة والستون في الأمر بالدعاء، والنهي عن تركه

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تقل لا أدعو الله، فإن كان ما أسأله مقسوما فسيأتي إن سألته أم لم أسأله، وإن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤال، بل اسأله عزّ وجلّ جميع ما تريد وتحتاج إليه من خير الدنيا والآخرة ما لم يكن فيه محرم ومفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له وحث عليه.

قال تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: الآية ٦٠]، وقال عزّ وجلّ: {وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} [النّساء: الآية ٣٢]، {وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ} [النّساء: الآية ٣٢]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسألوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» (١).

و قال صلى الله عليه وسلم: «اسألوا الله ببطون أكفكم» (٢) وغير ذلك من الأخبار. ولا تقل إني أسأله فلا يعطيني فإذا لا أسأله، بل دم على دعائه، فإن كان ذلك مقسوما ساقه إليك بعد أن تسأله، فيزيد ذلك إيمانا ويقينا وتوحيدا، وترك سؤال الخلق والرجوع إليه في جميع أحوالك وإنزال حوائجك به عزّ وجلّ، وإن لم يكن مقسوما لك أعطاك الغناء عنه والرضا عنه عزّ وجلّ بالقصص. فإن كان فقرا أو مرضا أرضاك بهما وإن كان دينا قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق والتأخر والتسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه، فإن لم يسقط ولم يترك منه في الدنيا أعطاك عزّ وجلّ ثوابا جزيلا ما لم يعطك بسؤلك في الدنيا، لأنه كريم غني رحيم، فلا يخيب سائله في الدنيا والآخرة فلا بد من فائدة، ونائلة إما عاجلا وإما آجلا، فقد جاء في الحديث: «المؤمن يرى في صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها ولم يدر بها فيقال له أتعرفها؟ فيقول: ما أعرفها من أين لي هذه؟ فيقال له: إنها بدل مسألتك التي سألتها في دار الدنيا» وذلك أنه بسؤال الله عزّ وجلّ يكون ذاكرا لله وموحدا وواضع الشيء في موضعه، ومعطي الحق أهله، ومتبرئا من حوله وقوته،

---

١) رواه الترمذي (٥/ ٥١٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٠)، وأحمد في المسند (٢/ ١٧٧).

٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٧١٩)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٢)، وأبو داود (٢/ ٧٨).

٦٨ المقالة السابعة والستون في جهاد النفس وتفصيل كيفيته

وتاركا للتكبر والتعظم والأنفة، وجميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله عزّ وجلّ.

المقالة السابعة والستون في جهاد النفس وتفصيل كيفيته

قال رضي الله عنه وأرضاه: كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة أحياها الله، ونازعتك وطلبت منك الشهوات واللذات الجناح منها والمباح، لتعود إلى المجاهدة ليكتب لك ثوابا دائما، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، أراد مجاهدة النفس لدوامها واستمرارها على الشهوات واللذات، وانهماكها في المعاصي، وهو معنى قوله عزّ وجلّ: {وَاُعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَاتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)} [الحجر: الآية ٩٩] أمر الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة وهي مخالفة النفس، لأن العبادة كلها تأباها النفس وتريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعني الموت.

فإن قيل: كيف تأبى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة وهو عليه الصلاة والسلام لا هوى له {وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (٣) إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحى (٤)} [النّجم: الآيتان ٣،٤] فيقال إنه عزّ وجلّ خاطب نبيّه صلى الله عليه وسلم ليتقرر به الشرع فيكون عامّا بين أمته إلى أن تقوم الساعة. ثم إن الله عزّ وجلّ أعطى نبيّه عليه الصلاة والسلام القوة على النفس والهوى، كيلا يضراه ويحوجاه إلى المجاهدة، بخلاف أمته، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت ويلحق بربه عزّ وجلّ بسيف مسلول ملطخ بدم النفس والهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة، لقوله عزّ وجلّ: {وَأَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاوى (٤١)} [النّازعات: الآيتان ٤٠،٤١] فإذا أدخله الجنة وجعلها داره ومقره ومصيره، أمن من التحويل عنها والانتقال إلى غيرها والعودة إلى دار الدنيا جدد له كل يوم وكل ساعة من أنواع النعيم وتغير عليه أنواع الحال والحلى إلا ما لا نهاية له ولا غاية ولا نفاد، كما جدد في الدنيا كل يوم وكل ساعة ولحظة مجاهدة النفس والهوى.

وأما الكافر والمنافق والعاصي لما تركوا مجاهدة النفس والهوى في الدنيا وتابعوها، ووافقوا الشيطان تمرجوا في أنواع المعاصي من الكفر والشرك وما دونهما حتى أتاهم الموت من غير الإسلام والتوبة، أدخلهم الله النار التي أعدت للكافرين في قوله عزّ وجلّ: {وَاِتَّقُوا النّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (١٣١)} [آل عمران: الآية ١٣١] فإذا

٦٩ المقالة الثامنة والستون في قوله تعالى: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ

أدخلهم فيها وجعلها مقرهم ومصيرهم، فأحرقت جلودهم ولحومهم جدد لهم عزّ وجلّ جلودا ولحوما كما قال عزّ وجلّ: {كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُودًا غَيْرَها} [النّساء: الآية ٥٦] يفعل عزّ وجلّ بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم وأهواءهم في الدنيا في معاصيه عزّ وجلّ، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود ولحوم لإيصال العذاب والآلام إليهم، وأهل الجنة يجدد لهم كل وقت نعيم لتتضاعف الشهوات واللذات لديهم. وسبب ذلك مجاهدة النفس وعدم موافقتها في دار الدنيا وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا مزرعة الآخرة» (١).

المقالة الثامنة والستون في قوله تعالى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ} [الرّحمن: الآية ٢٩]

قال رضي الله عنه وأرضاه: إذا أجاب الله عبدا ما سأله وأعطاه ما طلبه لم تخرم إرادته ولا ما جف به القلم وسبق به العلم، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه عزّ وجلّ في وقته، فتحصل الإجابة وقضاء الحاجة في الوقت المقدر الذي قدره له في السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال أهل العلم قوله عزّ وجلّ: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ} [الرّحمن: الآية ٢٩] أي يسوق المقادير إلى المواقيت، يعطي الله أحدا شيئا في الدنيا بمجرد دعائه، وكذلك لا يصرف عنه شيئا بدعائه المجرد، والذي ورد في الحديث: «ولا يرد القضاء إلا الدعاء» قيل إن المراد

به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذي قضى أن يرد لقضائه، وكذلك لا يدخل أحد الجنة في الآخرة بعمله، بل برحمة الله عزّ وجلّ، لكنه يعطي العباد في الجنة الدرجات على قدر أعمالهم.

و قد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: «أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل يدخل أحد الجنة بعمله؟ فقال: لا برحمة الله، فقالت: ولا أنت؟ فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ووضع يده على هامته» (٢) وذلك لأن الله عزّ وجلّ لا يجب عليه لأحد حق ولا يلزمه الوفاء بالعهد، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ويرحم من يشاء، فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته ومنته، ويمنع من شاء بعدله، وكيف لا يكون كذلك

____

١) أورده القاري في المصنوع (ص ١٠١)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٩٥)، (٢/ ٣٢٩)، والفتوحي في أبجد العلوم (١/ ٣٥٤).

٢) رواه ابن حبان (٢/ ٦٠)، والربيع في مسنده (١/ ٢٨٢)، وأحمد في المسند (٣/ ٥٢،٣٣٧)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٣٢)، (٨/ ٧٤).

٧٠ المقالة التاسعة والستون في الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى

والخلق من لدن العرش إلى الثرى التي هي الأرض السابعة السفلى ملكه وصنعه، لا مالك لهم غيره ولا صانع لهم غيره، قال عزّ وجلّ: {هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ} [فاطر: الآية ٣]، وقال تعالى: {أَإِلهٌ مَعَ اللهِ} [النّمل: الآية ٦٠]، وقال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: الآية ٦٥]، وقال تعالى: {قُلِ اللهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (٢٧)} [آل عمران: الآيتان ٢٦،٢٧].

المقالة التاسعة والستون في الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: لا تطلبن من الله شيئا سوى المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها في الأيام الآتية اللاحقة، والتوفيق لحسن الطاعة، وامتثال الأمر والرضا بمر القضاء والصبر على شدائد البلاء، والشكر على جزيل النعماء والعطاء ثم الوفاة بخاتمة الخير، واللحوق بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولا تطلب منه الدنيا ولا كشف الفقر والبلاء إلى الغناء والعافية، بل الرضا بما قسم ودبر، واسأله الحفظ الدائم على ما أقامك فيه وأحلك وابتلاك، إلى أن ينقلك منه إلى غيره وضده، لأنك لا تعلم الخير في أيهما، في الفقر أو في الغناء، في البلاء أو في العافية، طوى عنك علم الأشياء وتفرد هو عزّ وجلّ بمصالحها ومفاسدها.

فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أبالي على أي حال أصبح، على ما أكره أو على ما أحب، لأني لا أدري الخير في أيهما. قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله عزّ وجلّ، والطمأنينة على اختياره وقضائه. قال الله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١٦)} [البقرة: الآية ٢١٦].

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك وتنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك وأمانيك، وتخرج الأكوان من قلبك ولا يبقى في قلبك شيء سوى الله تعالى، فيمتلىء قلبك بحب الله تعالى، وتصدق إرادتك في طلبه وعزّ وجلّ فيرده إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية وأخروية، فحينئذ تسأله عزّ وجلّ

٧١ المقالة السبعون في الشكر والاعتراف بالتقصير

٧٢ المقالة الحادية والسبعون في المريد والمراد

بذلك وتطلبه ممتثلا لأمره، إن أعطاك شكرته وتلبست به، وإن منعك لم تتسخط عليه ولم تتغير عليه في باطنك ولا تتهمه في ذلك ببخل، لأنك لم تكن طلبته بهواك وإرادتك، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مريد له، بل ممتثلا لأمره بالسؤال والسلام.
المقالة السبعون في الشكر والاعتراف بالتقصير
قال رضي الله عنه وأرضاه: كيف يحسن منك العجب في أعمالك ورؤية نفسك فيها وطلب الأعواض عليها، وجميع ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه وقوته وإرادته وفضله وإن كان ترك معصيته فبعصمته وحفظه وحميته.
أين أنت من الشكر على ذلك والاعتراف بهذه النّعم التي أولاكها، ما هذه الرعونة والجهل، تعجب بشجاعة غيرك وسخائه وبذل ماله إذا لم تكن قائلا بعودك إلا بعد معاونة شجاع ضرب في عدوك ثم تمنيت قتله، لولاه كنت مصروعا مكانه وبدله، ولا باذلا لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه وخلفه، لو لا قوله وطمعك فيما وعد لك وضمن لك ما بذلت حبة منه، كيف تعجبك بمجرد فعلك.
أحسن حالك الشكر والثناء على المعين والحمد لله الدائم وإضافة ذلك إليه في الأحوال كلها إلا الشر والمعاصي واللوم، فإنك تضيفها إلى نفسك وتنسبها إلى الظلم وسوء الأدب وتتهمها به، فهي أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر وأمارة بكل سوء وداهية وإن كان هو عزّ وجلّ خالقك وخالق أفعالك مع كسبك، أنت الكاسب وهو الخالق كما قال بعض العلماء بالله عزّ وجلّ: تجيء ولا بد منك، وقوله صلى الله عليه وسلم: «اعلموا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له» (١).
المقالة الحادية والسبعون في المريد والمراد
قال رضي الله عنه وأرضاه: لا يخلو إما أن تكون مريدا أو مرادا.

---

١) رواه البخاري (٤/ ١٣٩١)، (٦/ ٢٧٤٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٠)، وأبو داود (٤/ ٢٢٨)، والترمذي (٥/ ٢٨٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٧)، وابن ماجه (١/ ٣٥،٣٠)، (٢/ ٧٢٥)، وأحمد في المسند (١/ ١٥٧،٨٢،٥)، (٣/ ٣٠٤)، (٤/ ٤٣١،٦٧).

فإن كنت مريدا فأنت محمل وحمال يحمل كل شديد وثقيل، لأنك طالب والطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه ويظفر بمحبوبه ويدرك مرامه، ولا ينبغي لك أن تنفر من بلاء ينزل بك في النفس والمال والأهل والولد، إلى أن يحط عنك الأعمال، ويزال عنك الأثقال، ويرفع عنك الآلام ويزال عنك الأذى والإذلال، فتصان عن جميع الرذائل والأدران والأوساخ والمهانات والافتقار إلى الخليقة والبريات، فتدخل في زمرة المحبوبين المدللين المرادين.
وإن كنت مرادا فلا تتهمن الحق عزّ وجلّ في إنزال البلية بك أيضا، ولا تشكن في منزلتك وقدرك عنده عزّ وجلّ، لأنه قد يبتليك ليبلغك مبلغ الرجال، ويرفع منزلتك إلى منازل الأولياء.
أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم ودرجاتك عن درجاتهم وأن تكون خلعتك وأنوارك ونعيمك دون مالهم، فإن رضيت أنت بالدون فالحق عزّ وجلّ لا يرضى لك بذلك. قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [البقرة: الآية ٢١٦] يختار لك الأعلى والأسنى والأرفع والأصلح وأنت تأبى.
فإن قلت: كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم والبيان مع أن الابتلاء إنما هو للمحب، والمدلل إنما هو المحبوب.
يقال لك ذكرنا الأغلب أولا وسمرنا بالنادر الممكن ثانيا.
لا خلاف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيد المحبوبين أشد الناس بلاء، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد، ولقد أوذيت في الله ما لم يؤذه أحد، ولقد أتى عليّ ثلاثون يوما وليلة وما لنا طعام إلا شيء يواريه إبط بلال»، وقد قال

صلى الله عليه وسلم: «إنّا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفا»، فكيف يبتلى المحبوب ويخوف المدلل؟ المراد ولم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية في الجنة لأن المنازل في الجنة لا تشيد ولا ترفع بالأعمال في الدنيا.
الدنيا مزرعة الآخرة، وأعمال الأنباء والأولياء بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهي والصبر والرضا والموافقة في حالة البلاء يكشف عنهم البلاء ويواصلون بالنعيم والفضل والدلال واللقاء أبد الآباد، والله أعلم.

٧٣ المقالة الثانية والسبعون فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر

المقالة الثانية والسبعون فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر
قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين والنسك في خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة، الجماعة وقضاء حوائج تسنح لهم على أضرب:
منهم من إذا دخل السوق ورأى فيه من أنواع الشهوات واللذات تقيد بهما وعلقت بقلبه فتن، وكان ذلك سبب هلاكه وتركة دينه ونسكه ورجوعه إلى موافقة طبعه واتباع هواه إلا أن يتداركه عزّ وجلّ برحمته وعصمته وإصباره إياه عنها فتسلم.
ومنهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله ودينه وتصبر وتجرع مرارة تركها، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه وطبعه وهواه، ويكتب له الثواب الجزيل في الآخرة.
كما جاء في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة» أو كما قال.
ومنهم من يتناولها ويتلبس بها ويحصلها بفضل نعمة الله عزّ وجلّ التي عنده من سعة الدنيا والمال، ويشكر الله عزّ وجلّ عليها.
ومنهم من لا يراها ولا يشعر بها، فهو أعمى عن ما سوى الله عزّ وجلّ، فلا يرى غيره، وأصم عما سواه فلا يسمع من غيره، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه واشتهائه، فهو في معزل عما العالم فيه فإذا رأيته وقد دخل السوق فسألته عما رأى في السوق يقول ما رأيت شيئا. نعم قد رأى الأشياء لكن قد رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه، ونظرة لجاءة لا نظرة شهوة، نظر صورة لا نظر معنى، نظر الظاهر لا نظر الباطن، فبظاهره ينظر إلى ما في السوق وبقلبه ينظر إلى ربّه عزّ وجلّ، إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أخرى.
ومنهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عزّ وجلّ رحمة لهم، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم وبين أيديهم فهو من حين دخوله إلى حين خروجه في الدعاء والاستغفار والشفاعة لأهله والشفقة والرحمة عليهم ولهم، رعينه مغزورة ولسانه

٧٤ المقالة الثالثة والسبعون في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

٧٥ المقالة الرابعة والسبعون فيما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

في ثناء وحمد لله عزّ وجلّ بما أولى الكافة من نعمه وفضله فهذا يسمى شحنة البلاد والعباد، وإن شئت سميته عارفا وبدلا وزاهدا وعالما غيبا وبدلا محبوبا مرادا ونائبا في الأرض على عباده، وسفيرا وجهبذا ونفاذا وهاديا ومهديا ودالا ومرشدا فهذا هو الكبريت الأحمر وبيضة العقعق، رضوان الله عليه وعلى كل مؤمن مريد لله وصل إلى انتهاء المقام، والله الهادي.
المقالة الثالثة والسبعون في قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضي الله عنه وأرضاه: قد يطلع الله تعالى وليّه على عيوب غيره وكذبه ودعوته وشركه في أفعاله وأقواله وإضماره ونيته، فيغار ولي الله لربه ولرسوله ودينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضرا وغائبا، كيف يدعى السلامة مع العلل والأوجاع الباطنة والظاهرة؟ وكيف يدعى التوحيد مع الشرك، والشرك كفر وبعد عن قرب الله وهو صفة العدو والشيطان اللعين، والمنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار والخلود فيها فيجري على لسان الولي ذكر عيوبه وأفعاله الخبيثة ووقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين ومزاحمته للفانين في قدر الله وفعله، والمراد من على وجه الغيرة لله عزّ وجلّ، مرة على وجه الإنكار له والموعظة له أخرى، وعلى وجه الغلبة بفعل الله عزّ وجلّ وإرادته وشدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله عزّ وجلّ غيبة، فيقال أيغتاب الولي وهو يمنع منها أو يذكر الغائب والحاظر بما يظهر عند الخواص والعوام؟ فيصير ذلك الإنكار في حقهم كما قال الله عزّ وجلّ: {وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما} [البقرة: الآية ٢١٩] في الظاهر إنكار المنكر وفي الباطن إسخاط الرب والاعتراض عليه فيصير حاله الحيرة، فيكون فرضه فيها السكوت والتسليم وطلب المساعي لذلك في الشرع، والجواز لا الاعتراض على الرب والولي يطعنان لافترائه وكذبه، وقد يكون ذلك سببا لإقلاعه وتوبته ورجوعه عن جهله وحيرته، فيكون كرها للولي نفعا للمغرور الهالك بغروره ورعونته. {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: الآية ٢١٣].

المقالة الرابعة والسبعون فيما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

قال رضي الله عنه وأرضاه: أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها، لأن فيه

٧٦ المقالة الخامسة والسبعون في التصوّف وعلى أيّ شيء مبناه

دلالة على الصانع وفي القدرة المحكمة آية على الحكيم؛ فإن الأشياء كلها موجودة به.

وفي معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية: الآية ١٣] فقال في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله، باطن بقدرته وظاهر بحكمته، ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات، وأخفى الصنع والصنيعة وأظهر الصنعة بالإرادة، فهو باطن في غيبه وظاهر في حكمته وقدرته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشّورى: الآية ١١].

ولقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، أنالنا الله تعالى بركاتهم وحشرنا في زمرتهم وحرمتهم آمين.

المقالة الخامسة والسبعون في التصوّف وعلى أيّ شيء مبناه

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: أوصيك بتقوى الله وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر، وسخاء النفس، وبشاشة الوجه، وبدل الندى، وكف الأذى، وتحمل الأذى والفقر، وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومة. والإرفاق، وملازمة الإيثار ومجانبة الإدخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا.

وحقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك وحقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك.

والتصوف ليس أخذ عن القيل والقال ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات، ولابتداء الفقير بالعلم وإبدائه بالرفق، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه.

والتصوف مبني على ثمان خصال (السخاء) لسيدنا إبراهيم عليه السلام (والرضا) لإسحق عليه السلام (والصبر) لأيوب عليه السلام (والإشارة) لزكريا عليه السلام (والغربة) ليحي عليه السلام (والتصوف) لموسى عليه السلام (والسياحة) لعيسى عليه

٧٧ المقالة السادسة والسبعون في الوصية

السلام (والفقر) لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل وسلم أجمعين.
المقالة السادسة والسبعون في الوصية
قال رضي الله عنه وأرضاه: أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل، وعليك بالتذلل والإخلاص، وهو دوام رؤية الخالق، ولا تتهم الله في الأسباب واستكن إليه في جميع الأحوال، ولا تضع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة.
وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب والسخاء، وأمت نفسك حتى تحيي، وأقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقا، وأفضل الأعمال: رعاية السر عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.
وعليك بالحق والصبر، وحسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وخدمة ولي، والفقير هو الذي لا يستغنى بشيء دون الله تعالى.
والصولة على من هو دونك ضعف، وعلى من هو فوقك فخر، وعلى من هو مثلك سوء خلق.
والفقر والتصوّف جدان فلا تخلطهما بشيء من الهزل، وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين.
يا وليّ عليك بذكر الله في كل حال فإنه للخير جامع. وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع. وعليك بالتأهب لتلقي موارد القضاء فإنه واقع.
و اعلم أنك مسؤول عن حركاتك وسكناتك، فاشتغل بما هو أولى في الوقت وإياك وفضول تصرفات الجوارح.
وعليك بطاعة الله ورسوله ومن والاه وأد إليه حقه ولا تطالبه بما يجب عليه، وادع في كل حال.
وعليك بحسن الظن في المسلمين وإصلاح النية لهم، وتسعى بينهم في كل خير، وأن لا تبيت ولأحد في قلبك شر ولا شحناء ولا بغض، وأن تدعو لمن ظلمك، وراقب الله عزّ وجلّ.

٧٨ المقالة السابعة والسبعون في الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

و ليك بأكل الحلال، والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم، وعليك بالحياء من الله سبحانه وتعالى.
واجعل صحبتك مع من الله معه واصحب من سوى الله بصحبته، وتصدق في كل صباح بقرصك وإذا أمسيت فصل صلاة الجنازة على كل من مات من المسلمين في ذلك اليوم وإذا صليت المغرب فصلاة الاستخارة وتقول بكرة وعشيّا سبع مرات «اللهم أجرنا من النار» وحافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (٢٢)} [الحشر: الآية ٢٢] إلى آخر سورة الحشر، والله الموفق والمعين، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
المقالة السابعة والسبعون في الوقوف مع الله والفناء عن الخلق
قال رضي الله عنه وأرضاه: كن مع الله عزّ وجلّ كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله عزّ وجلّ بلا خلق وجدت، وعن الكل فنيت. وإذا كنت مع الخلق بلا نفس عدلت وبقيت ومن التبعات سلمت، واترك الكل على باب خلوتك، وادخل وحدك تر مؤنسك في خلوتك بعين سرك، وتشاهد ما وراء العيان، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر الله وقربه، فإذن جهلك علم، وبعدك قرب، وصمتك ذكر، ووحشتك أنس.
يا هذا: ما ثم إلا خلق وخالق، فإذا اخترت الخالق فقل لهم {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ (٧٧)} [الشّعراء: الآية ٧٧].
ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: من ذاق عرف، فقيل له: من غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق؟ فقال: يتعمل في الشهوات من قبله بقصد وتكلف.
يا هذا: المؤمن إذا عمل صالحا انقلبت نفسه قلبا وأدرك مدركات قلب، ثم انقلب قلبه سرّا ثم انقلب الفناء فصار وجودا وبقاء.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: الأحباب يسعهم كل باب.
يا هذا: الفناء إعدام الخلائق، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة، ثم لحوقك بالمنهاج الأول، وحينئذ يسقيك ربك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع.

٧٩ المقالة الثامنة والسبعون في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولي العزم، وبيان خصالهم

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام، ثم العلم بالله ثم المعرفة ثم الوجود. وإذا كان وجودك له كان كلك له.
الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين والمعرفة عمل الأبد:
المقالة الثامنة والسبعون في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولي العزم، وبيان خصالهم
قال رضي الله عنه وأرضاه: لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولي العزم عشر خصال جربوها، فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة:
الأولى: أن لا يحلف بالله عزّ وجلّ صادقا ولا كاذبا عامدا ولا ساهيا، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهيا وعامدا، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له بابا من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه، ورفعه في درجة وقوة في عزمه وفي صبره والثناء عند الإخوان، والكرامة عند الجيران حتى يأتم به من يعرفه ويهابه من يراه.
والثانية: يجتنب الكذب لا هازلا ولا جادّا، لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيره به في نفسه، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.
الثالثة: أن يحذر أن يعد أحدا شيئا فيخلفه،
ويقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد بطريقه، لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة في الصادقين ورفعه عند الله جل ثناؤه.
الرابعة: أن يجتنب أن يلعن شيئا من الخلق، أو يؤذي ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين، وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يدخر له من الدرجات، ويستنقذ من مصارع الهلاك، ويسلمه من الخلق، ويرزقه رحمة العباد، ويقربه منه عزّ وجلّ.
الخامسة: أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه.
ولا يكافئه بقول ولا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى. وإذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا والآخرة، والمحبة والمودة في قلوب الخلق
أجمعين من قريب وبعيد، وإجابة الدعوة والغلوة في الخلق، وعز في الدنيا في قلوب المؤمنين.
السادسة: أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق، فإنه أقرب للرحمة، وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة، وأبعد عن الدخول في علم الله، وأبعد من مقت الله وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.
السابعة: أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثوابا في القلب والجوارح في عاجل الدنيا، مع ما يدخره الله له من خير الآخرة.
نسأل الله أن يمن علينا أجمعين ويعلمنا بهذه الخصال، وأن يخرج شهواتنا عن قلوبنا.
الثامنة: يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين، وبه يقوي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة

واحدة، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغناء واليقين والثقة به عزّ وجلّ، ولا يرفع أحدا سواه، وتكون الخلق عنده في الحق سواء، ويقطع بأن هذه أسباب عز المؤمنين وشرف المتقين، وهو أقرب باب الإخلاص.

التاسعة: ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين، ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم، فإنه العز الأكبر، والغنى الخاص، والملك العظيم، والفخر الجليل، واليقين الصافي، والتوكل الشافي الصريح وهو باب من أبواب الثقة بالله عزّ وجلّ، وهو باب من أبواب الزهد، وبه ينال الورع ويكمل نسكه، وهو من علامات المنقطعين إلى الله عزّ وجلّ.

العاشرة: التواضع لأن به يشيد محل العابد وتعلو منزلته، ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق، ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين من الله تعالى في السراء والضراء وهي كمال التقوى.

والتواضع: وهو أن لا يلقي العبد أحدا من الناس إلا رأى له الفضل عليه، ويقول عسى أن يكون عند الله خيرا من وأرفع درجة، فإن كان صغيرا قال هذا لم

يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني، وإن كان كبيرا قال هذا عبد الله قبلي، وإن كان عالما هذا أعطى ما لم أبلغ، ونال ما لم أنل، وعلم ما جهلت، وهو يعمل بعلمه وإن كان جاهلا قال هذا عصى الله يجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بم يختم لي وبم يختم له، وإن كان كافرا قال لا أدري عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل، وعسى أكفر فيختم لي بسوء العمل، وهذا باب الشفقة والوجل «وأولى ما يصحب وآخر ما يبقى على العباد»، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل، وبلغ به منازل النصيحة لله عزّ وجلّ وكان من أصفياء الرحمن وأحبائه، وكان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله وهو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر وجبال العجب، ورفض درجة العلو في نفسه في الدين والدنيا والآخرة، وهو مخ العبادة، وغاية شرف الزاهدين، وسيما الناسكين، فلا شيء منه فضل، ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين وما لا يعني، فلا يتم له عمل إلا به، ويخرج الغل والكبر والبغي من قلبه في جميع أحواله، وكان لسانه في السر والعلانية واحدا، ومشيئته في السر والعلانية واحدة، وكلامه كذلك، والخلق عنده في النصيحة واحد، ولا يكون من الناصحين، وهو يذكر أحدا من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل، أو يحب أن يذكره عنده واحد بسوء. وهذه آفة العابدين، وعطب النساك، وهلاك الزاهدين إلا من أعانه الله تعالى وحفظ لسانه وقلبه برحمته وفضله وإحسانه.

٨٠ تكملة في ذكر وصاياه لأولاده قدّست أسرارهم وبعض مقالات نافعة أوردها ومرضه ووفاته، رضي الله عنه وأرضاه

تكملة في ذكر وصاياه لأولاده قدّست أسرارهم وبعض مقالات نافعة أوردها ومرضه ووفاته، رضي الله عنه وأرضاه

إنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض مرضه الذي مات فيه وقال له ابنه عبد الوهاب قدّس سرّه، أوصني يا سيدي بما أعمل به بعدك، فقال رضي الله عنه وأرضاه: عليك بتقوى الله عزّ وجلّ، ولا تخف أحدا سوى الله، ولا ترج أحدا سوى الله، وكل الحوائج إلى الله عزّ وجلّ، ولا تعتمد إلا عليه، واطلبها جميعا منه تعالى، ولا تتكل على أحد غير الله سبحانه، التوحيد التوحيد جماع الكل.

وقال رضي الله عنه وأرضاه: إذا صح القلب مع الله عزّ وجلّ لا يخلو منه شيء ولا يخرج منه شيء.

وقال رضي الله عنه وأرضاه: أنا لب بلا قشر.

وقال رضي الله عنه لأولاده: أبعدوا من حولي فإني معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن.

وقال رضي الله عنه: قد حضر عندي غيركم فأوسعوا لهم وتأدبوا معهم، ههنا رحمة عظيمة، ولا تضيقوا عليهم المكان.

وكان رضي الله تعالى عنه يقول: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، غفر الله لي ولكم، تاب الله علي وعليكم، بسم الله غير مودعين. قال

ذلك يوما وليلة.

وقال رضي الله تعالى عنه: ويلكم أنا لا أبالي بشيء، لا بملك ولا بملك الموت، منح لنا من يتولانا سواك، وصاح صيحة عظيمة وذلك في اليوم الذي مات في عشيته رضي الله عنه.

وأخبر ولداه الشيخ عبد الرزاق والشيخ موسى قدست أسرارهما أن حضرة الغوث رضي الله عنه كان يرفع يديه ويمدها ويقول، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته: توبوا وادخلوا في الصف إذا جيء إليكم.

٨١ في بيان تاريخ وفاته وولادته وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش قدّس الله سرّه ورضي عنه

وكان رضي الله عنه يقول: أوقفوا، ثم أتاه الحق وسكرة الموت.

وقال رضي الله عنه: بيني وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض، فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسونا على أحد، ثم سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدّس سرّه عن ألمه وحاله فقال رضي الله عنه، لا يسألني أحد عن شيء، أنا أتقلب في علم الله عزّ وجلّ.

وقال رضي الله عنه وقد سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدّس سرّه أيضا عن مرضه، فقال رضي الله عنه: إن مرضي لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد إنس ولا جن ولا ملك، ما ينقص علم الله بحكم الله، الحكم يتغير والعلم لا يتغير {يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (٣٩)} [الرّعد: الآية ٣٩]، ولا {يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣)} [الأنبياء: الآية ٢٣] أخبار الصفات تمرّ كما جاءت.

وسأله ولده الشيخ عبد الجبار قدّس سرّه: ماذا يؤلمك من جسمك؟ فقال رضي الله عنه: جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله عزّ وجلّ، ثم أتاه الموت فكان رضي الله عنه يقول: استعنت بلا إله إلا الله سبحانه وتعالى، والحي الذي لا يخشى الفوت، سبحان من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأخبر ولده الشيخ موسى قدّس سرّه أنه قال: لما قربت وفاة حضرة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه كان يقول: تعزز ولم يؤدها على الصحة فما زال يكررها حتى إذا قال تعزز ومد بها صوته وشدها حتى صاح لسانه، ثم قال الله الله الله ثم خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه.

في بيان تاريخ وفاته وولادته وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش قدّس الله سرّه ورضي عنه

فأما ولادته رضي الله عنه ففي عام أربعمائة وسبعين.

وأما وفاته رضي الله عنه في عام خمسمائة وأحد وستين.

وأما عمره رضي الله عنه فأحد وتسعون سنة.

ودخل بغداد، وله من العمر ثمانية عشر سنة.

٨٢ في بيان تكملة نسب حضرة الغوث قدّس سرّه من والدته أيضا رضي الله عنها

ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله، يعني تاريخ الولادة والوفاة والعمر في بيت مفرد حيث قال:

إن باز الله سلطان الرجال ... جاء في عشق ومات في كمال

فعلى هذا كلمة (عشق) عددها بالجمل أربعمائة وسبعين، فهو تاريخ الولادة، وكلمة (كمال)، أحد وتسعون فهو قدر العمر.

وإذا ضمينا كلمة (عشق) مع كلمة (كمال) يكون الحاصل من العدد خمسمائة وأحد وستون، فهو تاريخ الوفاة، وكذا حققه في البهجة، وقلائد الجواهر، ونزهة الخاطر، والله أعلم.

في بيان تكملة نسب حضرة الغوث قدّس سرّه من والدته أيضا رضي الله عنها

قد تقدم نسب حضرة المؤلف قدّس الله سرّه ورضي عنه وعنا به، الذي من جهة والده قدّس الله سرّه متصل بحضرة سيدنا أمير المؤمنين الحسن السبط رضي الله عنه.

وليعلم أيضا أن نسبه الشريف متصل بحضرة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه، وذلك من جهة والدته الكريمة رضي الله عنها.

فكان الغرض من ذكر آخر الكتاب للمناسبة الواضحة وهي تقدم الذكور على الإناث طبعا، وأن سيدنا الحسن رضي الله عنه أكبر سنّا من حضرة سيدنا الحسين رضي الله عنه، ولأن يكون التأليف محصنا مسورا من أوله وآخره بالنسبين الشريفين.

وأيضا حضرة الشيخ المشار إليه نسبه العالي له اتصال بحصرة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الغار أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فأقول وبالله العون ومنه التوفيق لأقوم طريق.

اعلم أن حضرة قطب العارفين الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله تعالى سرّه والدته الكريمة رضي الله عنها اسمها أم الخير، أمة الجبار فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد ابن الإمام أبي جمال الدين السيد محمد، ابن الإمام السيد محمود ابن الإمام السيد أبي العطاء عبد الله، ابن الإمام السيد كمال الدين عيسى، ابن الإمام السيد أبي علاء الدين محمد الجواد رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام علي الرضى رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام موسى الكاظم رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام جعفر الصادق رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام محمد الباقر رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام زين العابدين رضي الله عنه، ابن الإمام الهمام سيد شباب أهل الجنة وقرة أعين أهل السنة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه وعنا به آمين.

وأما اتصال النسب العالي بسيدنا أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فهو أن حضرة والدة والد حضرة الغوث المشار إليه قدّس سرّه اسمها أم سلمة رضي الله عنها (كريمة) الإمام محمد رضي الله عنه ابن الإمام طلحة رضي الله عنه، ابن الإمام عبد الله رضي الله عنه، ابن الإمام عبد الرحمن رضي الله عنه ابن حضرة الإمام أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به آمين.

وأما اتصال النسب العالي بحضرة سيدنا ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فهو أن سيدنا عبد الله المحض الجد التاسع لحضرة الغوث المشار إليه لقب (بالمحض) لأن لفظ محض يطلق على الخالص من كل شيء (وسيدنا) عبد الله المشار إليه نسبه الشريف خالص من الموالي من جهة الأم والأب فلقب به لأن أباه سيدنا الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن السبط رضي الله عنه ابن الإمام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين (وأمه) فاطمة رضي الله عنها، بعد وفاة أبيه، تزوجها السيد عبد الله بن المظفر رضي الله عنه، ابن عمر رضي الله عنه وابن أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وأما اتصال النسب العالي بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فاعلم أن عبد الله بن المظفر المتقدم ذكره والدته الكريمة اسمها (حفصة) رضي الله عنها (كريمة) سيّدنا عبد الله رضي الله عنه، ابن سيّدنا عمر رضي الله عنه، فعل هذا يكون هذا النسب الشريف له اتصال بسيّدنا الصديق وبسيّدنا الفارق وبسيّدنا ذي النورين، وبساداتنا الحسنين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وأما بيان سلسلة طريقته الشريفة المتصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو أن حضرة المشار إليه تلقن الذكر الشريف، وبعد تخلف ولبس الخرقة القادرية العلية من شيخه ومرشده، العارف بالله تعالى الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي رضي الله عنه.
وبعد أن تولى حضرة الغوث درجة القطبية حضرة الشيخ أبي سعيد أيضا تخلف وليس من حضرة الغوث المشار إليه قدست أسرارهما (وشيخهما في الخرقة) شيخ الإسلام العارف بالله تعالى الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف القرشي الهكاري رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي الفرج الطرسوسي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي بكر دلف بن جحدر الشبلي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي القاسم الجنيدي ببغدادي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ سري الدين السقطي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبي محفوظ معروف الكرخي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ داود الطائي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ حبيب العجمي رضي الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ حسن البصري رضي الله عنه عن حضرة شيخه ومرشده سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن حضرة سيد المرسلين ورسول رب العالمين سيدنا ونبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.
وأما بيان أولاده رضي الله عنه فهم الشيخ عبد الوهاب والشيخ عبد الرزاق والشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الجبار والشيخ عبد الغفور والشيخ عبد الغني والشيخ صالح والشيخ محمد والشيخ موسى والشيخ عيسى والشيخ إبراهيم والشيخ يحيى وهو أصغرهم وكريمته أمة الجبار العلوية فاطمة قدست أسرارهم أجمعين.

٨٣ هذه عقيدة الباز الأشهب قدّس سرّه

بسم الله الرّحمن الرّحيم
هذه عقيدة الباز الأشهب قدّس سرّه
الحمد لله الذي كيّف الكيف وتنزّه عن الكيفية، وأين الأين، وتعزّز عن الأينية، ووجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية، فهو أول كل شيء وليس له آخرية.
وإن قلت أين فقد طالبته بالأينية، وإن قلت كيف فقد طالبته بالكيفية، وإن قلت متى فقد زاحمته بالوقتية، وإن قلت ليس فقد عطلته عن الكونية، وإن قلت لو فقد قابلته بالنقصية وإن قلت لم فقد عارضته في الملكوتية.
سبحانه وتعالى لا يسبق بقبلية ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية ولا يقرن بشكلية، ولا يعاب بزوجية ولا يعرف بجسمية.
سبحانه وتعالى لو كان شبحا لكان معروف الكمية، ولو كان جسما لكان متألف البنية، بل هو واحد ردّا على البنوية، صمد ردّا على الوثنية، لا مثل له طعنا على الحشوية، لا كقوله ردا على من ألحد بالوصفية، لا يتحرك متحرك في خير أو شر أو سر أو جهر في بر أو بحر إلا بإرادته ردّا على القدرية، لا تضاهي قدرته ولا تتناهى حكمته تكذيبا للهذلية، حقوقه الواجبة وحجته البالغة، ولا حق لأحد عليه إذا طالبه نقضا لقاعدة النظامية، عادل لا يظلم في أحكامه، صادق لا يخلف في إعلامه متكلم بكلام قديم أزلي لا خالق لكلامه.
أنزل القرآن فأعجز الفصحاء في نظامه إرغاما لحجج المرادية، يستر العيوب ربنا ويغفر الذنوب لمن يتوب، فإن امرؤ إلى ذنبه عاد فالماضي لا يعاد محضا للبشر، تنزه عن الزيف وتقدس عن الحيف.
وتؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين، وأنه أضل الكافرين ردّا على الهشامية.
ونصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس ردّا على الجعفرية.
ونقر أنه يرى نفسه ويرى غيره، وأنه سميع بكل نداء، بصير بكل خفاء، ردّا على الكعبية.
خلق خلقه في أحسن فطرة، وأعادهم بالغناء في ظلمة الحفرة، وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة ردّا على الدهرية، فإذا جمعهم ليوم

حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر يرى كالقمر، لا يحجب إلا من أنكر الرؤيا من المعتزلة، كيف يحجب عن أحبابه أو يوقفهم دون حجابه وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية: {يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨)} [الفجر: الآيتان ٢٨،٢٧].

أترى ترضى من الجنان بحورية؟ أم تقنع من البستان بالحلل السندسية؟

كيف يفرح المجنون بدون ليلى العامرية؟ كيف يرتاح المحبون بغير النفحات العنبرية؟ أجساد أذيبت في تحقيق العبودية كيف لا تتنعم بالمقاعد العندية؟ أبصار سهرت في الليالي الديجورية؟ كيف لا تتلذذ بالمشاهدة الأنسية؟ وألباب عذبت باللبانات الحيية، كيف لا تشرب من المدامة الربية؟ وأرواح حبست في الأشباح الحسية، كيف لا تسرح في الرياض القدسية وترتع في مراتعها العلية، وتشرب من مواردها الروية، وتنهي ما بها من فرط شوق ووجد شرح الحال عن تلك الشكية ويبرز حاكم العشاق جهرا ويفصل عن تلك القضية.

إذا خوطبت عند التّلاق لمولاها ابتدأها بالتحية، فيأمرها إلى جنات عدن فتأبى أنفسا منها أبية، وتقسم فيه أن لا نظرت سواه ولا عقدت لسواه نية، ولا رضيت من الأكوان شيئا ولا كانت مطالبها دنية، فما هجرت لذيذ العيش إلا لتحظى منه بالصلة السنية، ويسقيها مدير الراح كأسا صفاه من صفو صفواته هنية.

إذا أدبرت على الندماء جهرا حفت بالبواكر والعشية، تزيدهم ارتياحا واشتياقا إلى أنوار طلعته البهية.

وحقك إن عينا لن تريها جمالك فإنها عين شقية، قتلت بحسنك العشاق جمعا بحق هواك رفقا بالرعية، قلوب تذوب إليك شوقا ولم يبق الهوى منها بقية، فإن أقضى وما قضيت قصدي فإني من هواك على وصية، ولست بآيس عند التلاقي يا إلهي بأن تمحو عواطفك الخطية.

٨٤ وهذه القصيدة العينية من نظم القطب الغوث الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني

كيف يكون الرد يا إخواني وفي الأسحار أوقات ربانية، وإشارات سماوية، ونفحات ملكية؟ والدليل على صدق هذه القضية: غناء الأطيار في الأشجار بالألحان الداودية، وتصفيق الأنهار المنكسرة في الرياض الروضية، ورقص الأغصان بالحلل السندسية، من الجنة كل ذلك إذعانا واعترافا له بالوحدانية.

ألا يا أهل المحبة إن الحق يتجلى في وقت السحر، وينادي هل من تائب فأتوب عليه توبة مرضية؟ هل من مستغفر فأغفر له الخطايا بالكلية؟ هل من مستعط فأجز له النعم والعطية؟

ألا وإن الأرواح إذا صفت كانت ببهجته مشرقة مضية وتساوت في الأحوال وهان عليها كل رزية.

لا جرم أن رائحة دموعهم في الآفاق عطرية، وبصبرهم على بعض الهجر استحقوا الوصل من المراتب العلية، وصحة أحاديثهم في طبقات المحبين مسندة مروية، وراحوا من غير سؤال حاجاتهم مقضية، هدية الحب قد أصبحت واضحة جلية، فيا لها من قواف بهية، وعقيدة سنية، على أصول مذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية عصمني الله تعالى وإياكم من الذين فرقوا فمرقوا كما يمرق السهم من الرمية، وجعلني وإياكم من الذين لهم غرف من فوقها غرف مبنية.

وصلّى الله على سيدنا محمد أشرف البرية، وعلى آله وأصحابه وخصهم بأشرف التحية، وسلم تسليما كثيرا دائما، متجددا مترادفا في كل بكرة وعشية، والحمد لله رب العالمين.

وهذه القصيدة العينية من نظم القطب الغوث الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني

فؤاد به شمس المحبة طالع ... وليس لنجم العذل فيه مواقع

صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ... وأفرق كل وهو في الحان جامع

حميا هواه غير قهوة غيره ... مدام دواما تقتنيها الأضالع

هوى وصبابات ونار محبة ... وتربة صبر قد سقتها المدامع

أولع قلبي من زرود بمائه ... ويا ولهي كم مات ثمة والع

ولي مطمع بين الأجارع عهده ... قديم وكم خابت هناك المطالع
أيا زمن الرند الذي بين لعلع ... تقضي لنا هل أنت يا عصر راجع
لقد كان لي في ظل جاهك مرتع ... هني ولي بالرقمتين مراتع
أجرّ ذيول اللهو في ساح اللقا ... وأجني ثمار القرب وهي أيانع
و أشرب كأس الوصل راحا براحة ... تصفق بالراحات منها الأصابع
تصرم ذاك العمر حتى كأنني ... أعيش بلا عمر وللعيش مانع
مذ اغبرّ خضر العيش وابيض لمّتي ... تسود صبحي فالدموع فواقع
و شرب من الغزلان فبهن فتية ... لنا هن في سقط الغرير رواتع
عفرن بدورا مذ قلمنا عقاربا ... من الشعر خلنا أنهن براقع
رعى الله تلك السرب لي ورعى الحمى ... ولا صنعت سربا وأي صنائع
صليت بنار أضرمنها ثلاثة ... غرام وشوق والديار الشواسع
يخيل لي أن العذيب وماءه ... منام ومن فرط الغرام الأرجارع
فلا نار إلا ما فؤادي محله ... وما السحر إلا ما الجفون تدافع
ولا وجد إلا ما أقاسيه في الهوى ... ولا موت إلا ما إليه أسارع
فلو قيس ما قاسيته بجهنم ... من الوجد كانت بعض ما أنا جارع
جفوني بها نوح فطوفانها الدما ... ونوحي رعد والزفر اللوامع
وجسمي به أيوب قد حل للبلا ... وإن مسني ضر فما أنا جازع
وما نار إبراهيم إلا كجمرة ... من الجمرات اللت حوتها الأضالع
فسرى في بحر الصبابة يونس ... تلقمه حوت الهوى وهو خاشع
وكم في فؤادي من شعيب كآبة ... تشعب إذ شطت مزارا مرائع
حكى زكريا وهن عظمى من الضنا ... أيحيى اصطباري وهو في الموت واقع
أبا يوسف الدنيا لفقدك في الحشا ... من الحزن يعقوب فهل أنت راجع
أتينا تجار الذل نحو عزيزكم ... وأرواحنا المزجاة تلك البضائع
فإن تك عطفا أنت أهل لأهله ... أما إن يكن عون العذيب موانع
تحكم بما تهواه في فإنني ... فقير لسلطان المحبة طائع
فكل الذي يقضيه في رضاكم ... مرامي وفوق القصد ما أنت صانع
حببتك لا لي بل لأنك أهله ... ولا لي في شيء سواك مطامع
فصل إن ترد أودع وعد عن اللقا ... وأوعد وعد وعدّا فما أنا قانع
تمكن مني الحب فامتحق الحشى ... وأتلفني الوجد الشديد المنازع
وأشغلني شغلي بها عن سوائها ... وأذهلني عن الهوى والجوامع
وقد فتكت روحي بقارعة الهوى ... وأفنيت عن نحوي بما أنا فارع
تلذ لي الآلام إذ أنت مسقمي ... وإن تمتحني فهي عندي صنائع
فقام الهوى عندي مقامي فكنته ... وغيبت عن كوني فعشقي جامع
غرامي غرام لا يقاس بغيره ... ودون هيامي للمحبين مانع
فؤادي والتبريح للروح لازم ... وسقمي والآلام للجسم تابع

وبعدي وأشجاني وشوقي ولوعتي ... لجوهر ذاتي في الغرام طبائع
وشوقي نار والهوى فهو الهوى ... وتربى والما وذلتي والمدامع
يلوم الورى نفسي لفرط جنونها ... وليس بأذني للملامة سامع
ومذ أودعت أحشائي حبك إنني ... لسهم قسى النائبات مواقع
وما لي إن حل البلاء التفاتة ... وما لي إن جاء النعيم مراتع
ولا أن من يسلو ببعض غرائب ... عن البعض بل بالكل ما أنا قانع
وشوقي ما شوقي وقيت فإنه ... بجيم له بين الضلوع فراقع
وبي كمد لو حملته جبالها ... لدكت برضواها وهدت صوامع
يخيل لي أن السماء على الثرى ... طباقا وأني بين ذلك واقع
ولي كبد حراء من جزع بها ... عليك ولم تبرد عليك مصالع
ونفسي نفس أي نفس أبية ... ترى الموت نصب العين وهي تسارع
فهمي وفهمي ذا عليك وفيك ذا ... وجدي ووجدي زائد ومتابع
و عزمي زعمي أنه فوق كلما ... تراءى ودمعي إنما هو نافع
تسامر عيني السها لسهادها ... وتسأل بل ما سال إلا المدامع
ويطرق منك الطيف جفن بغيتي ... وكم زاره طيف وما هو هاجع
يخبرني عنك الصبا وهو جاهل ... فتلتذ من أخباركم والمسامع
إذ زمزمت ورق على غصن بانة ... وجاوب قمري على الأيك ساجع
فأذني لم تسمع سوى نغمة الهوى ... ومنكم فإني لا من الطير سامع
وعن أي أمن كان إن هب ضائع ... لكم فيه من عطر الغرام بضائع
وإن زجر الرعد الحجازي بالصفا ... وأبرق من شعبي جياد لوامع
يصور لي الوهم المخيل أن ذا ... ثناك وهذا من ثنايك ساطع
فأسمع عنكم كل أخرس ناطقا ... وأشهدكم في كل شيء مواقع
إذا شاهدت عيني جمال ملاحة ... فما نظري إلا بعينك واقع
وما هز من غصن فتى تحت طلعه ... من البدر أبدت ما خفتها الأضالع
ولا سلسلت أعناقها بغرامها ... تصافيق جهد خطهن وقائع
ولا نقطت خال الملاحة بهجة ... على وجنة إلا وحرفك طالع
فأنت الذي لي فيه يظهر حسنه ... به لا بنفسي ما له من ينازع
وإن حس جلدي من كثيف خشونة ... فلي فيه من ألطاف حسنك دارع
تخذتك وجها والأنام بطانة ... فأنجمهم غابت وشمسك طالع
فديني وإسلامي وتقواي إنني ... بحبك فإن لائتمارك طائع
إذا قيل قل لا قلت غير جمالها ... وإن قيل إلا قلت حسنك شائع
أصلي إذا صلى الأنام وإنما ... صلاتي بأني لاعتزازك خاضع
أكبر في التحريم ذاتك عن سوى ... وباسمك تسبيحي إذا أنا خاشع
أقوم أصلي أي أقوم على الوفا ... بأنك فرد واحد الحسن جامع
وقرأ من قرآن حسنك آية ... فذلك قرآني إذا أنا راكع

فأسجد كي أفنى وأفنى عن الفنا ... وأسجد أخرى والمتيم والع
وقلبي مذا أبقاه حسنك عنده ... تحياته منكم إليكم تسارع
صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى ... وفطري أني نحو وجهك راكع
وبذلي نفسي في هواك صبابة ... زكاة جمالي منك في القلب ساطع
أرى مرج قلبي مع وجودي جنابة ... فماء طهوري أنت والغير مائع
أيا كعبة الآمال وجهك حجتي ... وعمرة نسكي إنني فيك والع
وتجريد نفسي من مخيط ثيابها ... بوصل وإحرام عن الغير قاطع
ويلتذ مني أن أدلك مهجتي ... لما منك في دار من الحسن مانع
كأن صفاة منك تدعو إلى العلا ... فلبت بقلبي فاستبانت شواسع
فتركي لطيبي والنكاح فإن ذا ... صفاتي وذا ذاتي فهن موانع
وإعفاء حلق الرأس ترك رئاستي ... وشرط الهوى أن المتيم خاضع
إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم ... تركت من الأفعال ما أنا صانع
وكنت كآلات وأنت الذي بها ... تصرف بالمقدور ما هو واقع
وما أن جبري للعقيدة أنني ... محبّ فني فيمن حوته الأضالع
فها أنا في تطواف كعبة حسنها ... أدور ومعنى الدور أني راجع
ومذ علمت نفسي طوافك سبعة ... فأعداد تطوافي جمال سوابع
أقبلي خال الحسن والحجر الذي ... لنا من قديم العهد فيه ودائع
ومعناه أن النفس فيها لطيفة ... بها تقبل الأوصاف والذات شائع
وأستسلم الركن اليماني إنه ... به نفس الرحمن والنفس سالع
وأختم تطواف الغرام بركعة ... من المحو عما أحدثته الطبائع
ترى هل لموسى القلب في زمزم اللقا ... مراضع لا حرمت تلك المراضع
فيذهب وصفي في صفات صفاتكم ... ليسعى لمرو الذات وهي تسارع
وليس الصفاء إلا الصفاء ومروة ... بأني على تحقيق حقي صادع
وما القصر إلا عن سواكم حقيقة ... وما الحلق إلا ترك ما هو قاطع
ولا عرفات الوصل إلا جنابكم ... فطوبى لمن في حضرة القرب يانع
على علمي معناك ضدان جمعا ... ويا لهفي ضدان كيف التجامع
بمزدلفات في طريق غرامكم ... عوائق من دون اللقا وقواطع
فإن حصل الإشعار في زمزم اللقا ... وساعد جذب العزم فالفوز واقع
على مشعر التحقيق عظمت في الهوى ... تبيعا بحكم أصلته الشرائع
وكم من منى لي في منى حضراتكم ... ويا حسرتي إن المحسر شاسع
رميت جمار النفس في الروح فانثنت ... جهنمها ماء وصاحت ضفادع
وأبدل رضوان بمالك وأنبتت ... بها شجر الجرجير والغصن يانع
فقاضت على ذاتي ينابيع وصفها ... وناهيك صرف الحق تلك الينابع
وطفت طوفا للإفاضة بالحمى ... وقمت مقاما للخليل أتابع
فمكنت من ملك الغرام وها أنا ... مليك وسيفي في الصبابة قاطع

وحققت علما واقتدارا جميع ما ... تضمنه ملكي وما لي منازع
ولما قضينا النسك من حجة الهوى ... وتمت لنا من حي ليلى بدائع
حثثنا مطايا العزم نحو محمد ... وطفنا وداعا والدموع هوامع
وجبنا بتهنئة النفوس مفاوزا ... سباسب فيها الرجال مصارع
حمى درست في العالمين طريقه ... فعزوكم قد خاب في العز طامع
محل بحال القرب حالت رسومه ... وأرج منيع دونه البرق لامع
ينكس رأس الريح عند ارتفاعه ... فكم زال عنه السحب والغيث هامع
حوى تحته بهرام في الأوج ساجدا ... وكيوان من فوق السموات راكع
فكم رامح مذ رامه صار أعزلا ... وفي قلبه من عقرب الفقر لاذع
سريت به والليل أدجى من العمى ... على باذل أفديه ما هو طائع
يجوب الفلا جوب الصواعق في الدجا ... ويرحل عن مرعى الكلا وهو جائع
وإن مر بعد العسر بالماء إنه ... على ظمأ من ذاك باليسر قانع
هي النفس نعمت مركبا ومطية ... فليس لها دون المرام موانع
فيا سعد إن رمت السعادة فاغتنم ... فقد جاء في نظم البديع بدائع
مفاتيح أقفال القلوب أتتك في ... خزائن أقوالي فهل أنت سامع
أكشفت عن أسرار الشريعة فانحها ... فما وضعت إلا لتلك شرائع
وها أنا ذا أخفي وأظهر تارة ... رمز الهوى ما السر عندي ذائع
وإياك أعني واسمعني جارتي وما ... يصرح إلا جاهل أو مخادع
ولكنني آتيك بالبدر أبلجا ... وأخفيه أخرى كي تصان الودائع
خذا الأمر بالإيمان من فوق أوجه ... ونازع إذا نفسا أتتك تنازع
فللمرء في التنزيل أو في أدلة ... ولكن قلبي في الحقيقة والع
وفي السنة الزهراء كل عبارة ... بها من إشارات الغرام وقائع
فإن كنت فيمن ما له يد ماجد ... سوى أن بتصريح التشكل قانع
سأنشى روايات إلى الحق أسندت ... وأضرب أمثالا بما أنا واضع
وأوضح بالمعقول سر حقيقة ... لمن هو ذو قلب إلى الحق راجع
تجلى حبيبي مرائي جماله ... ففي كل مرأى للحبيب طلائع
فلما تبدى حسنه متنوعا ... تسمى بأسماء فهن مطالع
وأبرز منه فيه آثار وصفه ... فذالكم آثار من هو صانع
فأوصافه والاسم والأثر الذي ... هو الكون عين الذات والله جامع
فما ثم من شيء سوى الله في الورى ... وما ثم مسموع وما ثم سامع
هو العرش والكرسي والمنظر العلي ... هو السدرة اللاتي إليها المراجع
هو الأصل حقًّا والرسوم مع الهوى ... هو الفلك الدوار وهو الطبائع
هو النور والظلمات والماء والهوى ... هو العنصر الناري وهو الطبائع
هو الشمس والبدر المنير مع السها ... هو الأفق وهو النجم وهو المواقع
هو المركز الحكمي والأرض والسما ... هو المظلم العتام وهو اللوامع

هو الدار وهو الحي والأثل والغضا ... هو الناس والسكان وهو المرابع
هو الحكم والتأثير والأمر والقضا ... هو العز والسلطان والمتواضع
هو اللفظ والمعنى وصورة كلما يجول ... من المعقول أو هو واقع
هو الجنس وهو النوع والفصل إنه ... هو الواجب الذاتي والمتمانع
هو العرض الطاري نعم وهو جوهر ... هو المعدن الصلدي وهو الموالع
هو الحيوان الحي وهو حياته ... هو الوحش والإنسي وهو السواجع
هو القيس بل ليلى وهو بثينة ... أجل نشرها والخيف وهو الأرجاع
هو العقل وهو النفس والقلب والحشا ... هو الجسم وهو الروح والمتدافع
هو الموجد الأشيا وعين وجودها ... وعين ذوات الكل وهو الموانع
بدت في نجوم الخلق أنوار شمسه ... فلم يبق حكم النجم والشمس طالع
حقائق ذات في مراتب حقه ... تسمى باسم الخلق والخلق واسع
وفي فيه روحي نفحت كناية ... هل للروح إلا عينه يا منازع
ونزّهه عن حكم الحلول فما له ... سوى وإلى توحيده الأمر راجع
فيا أحدي الذات في عين كثرة ... ويا موجد الأشياء ذاتك شائع
تجليت في الأشياء حين خلقتها ... فها هي ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ... ولم يك موصولا ولا فصل قاطع
ولكنما أحكام رتبتك اقتضت ... ألوهية للضد فيك التجامع
فأنت الورى حقّا وأنت إمامنا ... وأنك ما يعلو وما هو واضع
وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... وأنت بها الماء الذي هو نابع
فما الثلج في تحقيقنا غير مائه ... وغير أن في حكم دعته الشرائع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ... ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد في واحد البها ... وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع
فكل بهاء في ملاحة صورة ... على كل قد شابه الغصن يانع
وكل اسوداد في تصافين طرة ... وكل احمرار في الطلائع صانع
وكل كحيل الطرف يقتل صبه ... بماض كسيف الهند حال مضارع
وكل اسمرار في القوائم كالقنا ... عليه من الشعر الوسيم شرائع
وكل مليح بالملاحة قد زها ... وكل جميل بالمحاسن بازع
وكل لطيف جل أو دق حسنه ... وكل جليل وهو باللطف صادع
محاسن من أنشاه ذلك كله ... فوحد ولا تشرك به فهو واسع
وإياك لا تلفظ بغيرية إليها ... فما ثم غير وهو بالحسن بادع
وكل قبيح إن نسبت لحسنه ... أتتك معاني الحسن فيه تسارع
ولا تحسبنّ الحسن ينسب وحده ... إليه البها والقبح بالذات راجع
يكمل نقصان القبيح جماله ... وما ثم نقصان ولا ثم بانع
ويرفع مقدار الوضيع جلاله ... إذا لاح فيه فهو للوضع رافع
فلا تحتجب عنه لشيء بصورة ... فخلف حجاب العين للنور لامع
وأطلق عنان الحق في كل ما ترى ... فتلك تجليات من هو صانع

لقد خلق الأرضين بالحق ورسما ... كذا جاء في القرآن إن أنت سامع
وما الحق إلا الله لا شيء غيره ... فثم شذاه فهو في الخلق ضائع
وشاهده حقّا فيك منك فإنه ... هويتك اللاتي بها أنت دالع
ففي أينما حقّا تولوا وجوهكم ... فما ثم إلا الله هل من يطالع
فبع منك نفسا بالإله وكنهه ... تكون كما إن لم تكن وهو صادع
ودع عنك أوصافا بها كنت عارفا ... لنفسك فيها للإله ودائع
وشاهد بوصف الحق نفسك أنت هو ... ولا تلتبس للحق ما أنت خاضع
وكن باليقين الحق للخلق جاحدا ... وجمعك خله إن فرقك قاطع
ولا تحتقر بالاسم فالاسم دارس ... ولا تختصر بالعين فالعين تابع
وإياك حزما لا يهولك أمرها ... فما نالها إلا الشجاع المقارع
حنانيك واحذر من تأدب جاهل ... فيا رب آداب لقوم قواطع
وكن ناظرا في القلب صورة حسنه ... على هيئة للنفس يظهر طابع
فقد صحّ في متن الحديث «تخلقوا ... بأخلاقه» ما للحقيقة مانع
وها هو سمع بل لسان أجل بدا ... لنا هكذا بالنقل أخبر شارع
فعم قوانا والجوارح كونه ... لسانا وسمعا ثم رجلا تسارع
وكنا شواهد للجوارح والقوى ... هو الكل منا ما لقولي دافع
وبكفيك ما قد جاء في الخلق إنه ... على صورة الرحمن آدم واقع
ولو لم يكن في وجه آدم عينه ... لما سجد الأملاك وهي خواضع
ولو شاهدت عين لإبليس وجهه ... على آدم لم يعص وهو مطاوع
ولكن جرى المقدور فهو على عمى ... عن العين إذ حالت هناك موانع
ولا تك من إبليس في شبه سيره ... ودع قيده العقلي فالعقل رادع
وخض في بحار الاتحاد منزها ... عن المزج بالأغيار إن أنت خاشع
وإياك والتنزيه فهو مقيد ... وإياك والتشبيه فهو مخادع
وشبهه في تنزيه سبحات وجه ... ونزهه في تشبيه ما هو ضارع
وقل هو ذابل غيره وهو غير ما ... عرفت وعين العلم فالحق شائع
ولا تك محجوبا برؤية حسه ... عن الذات أنت الذات أنت المجامع
فعينك شاهدها مجدا لأصلها ... فإن عليها للجمال لوامع
أنيتك التي هي القصد والمنى ... بها الأمر مرموز وحسنك بارع
ونفسك تحوي بالحقيقة كلما ... أشرت بجد القول ما أنا خادع
تهنى بها واعرف حقيقتها وما ... كعرفانها شيء لذاتك نافع
فحقق وكن حقّا فأنت حقيقة ... لحقك والمخلوق بالذات جامع
ووجده في الأشياء فهو متره ... وخلف حجاب الكون للنور ساطع
ولا تطلبن فيها الدليل فإنه ... وراء كتّاب العقل تلك الوقائع
ولكن بإيمان وحسن تتبع ... إذا رمت جاءتك الأمور توابع
وإن قيدتك النفس فاطلق عنانها ... وسر معها حتى تهون الوقائع
وبرهن لها التحقيق عقلا مقيدا ... بنقل به جاءت إليك شرائع

فثم أصول في الطريق لأهلها ... رهن إلى سبل النجاة ذرائع
تمسك بها تنجو وزن كل وارد ... بقسطاسها عدلا فثم قواطع
ودع ما تراه مال عن خط عدلها ... إلى أن تناجيك الشموس الطوالع
فذاك سبيلي رده إن ترد العلا ... ولا تعد عنه تعتريك قواطع
. . . . (١)
وإني ومن في الحب أهدي بهديه ... بأنك لا تهدي من أحببت قانع
فدع عنك دعوى القول في نكت الهوى ... فراحلة الألفاظ في السير طالع
وسر في الجوى بالروح واصغ إلى الهوى ... لتسمع منه سر ما أنت والع
ومن دون هذا الاستماع مهالك ... وما كل أذن فيه تلك المسامع
فشمر ولذ بالأولياء لأنهم ... لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز للرجا ... ومنهم ينال الصب ما هو طامع
بهم يهتدي للعين من ضل في الهوى ... بهم تجذب العشاق والربع شاسع
هم القصد والمطلوب والسؤال والمنى ... وأنسهم للصب في الحب شائع
هم الناس فالزم إن عرفت جنابهم ... ففيهم لضير العالمين منافع
وإن جهلوا فانظر بحسن عقيدة ... إلى كل من تلقاه بالفقر ضارع
وحافظ مواقيت الإرادة قائما ... بشرع الهوى إن أنت في الحب شارع
وداوم على شرطين ذكر أحبة ... وتسليك نفس للخلاف تسارع
ولا تهملن ذكر الأحبة لمحة ... فميل الفتى عما يحاول رادع
ولا ساعد المقدور أو ساقك القضا ... إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تسارع
وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثم مخادع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره ... وسل حساما للغياهب قاطع
أقام له العذر الكليم وإنه ... كذلك علم القوم فيه بدائع
وواطب شهود الحق فيك فإنه ... هو الحق والأنوار فيك سواطع
ورق مقام القلب عن نجم ربه ... إلى قمر الرحمن إذ هو طالع
إلى شمس تحقيق الألوهة رافعا ... إلى ذاته في العذر إن أنت رافع

---

١) بياض بالأصل.

فلله خلف الاسم والوصف مظهر ... وعنه عيون العالمين هواجع
وليس ترى الرحمن إلا بعينه ... وذلك حكم في الحقيقة واقع
وإياك لا تستبعد الأمر إنه ... قريب على من فيه للحق تابع
وها أنا ذا أنبيك عن سبل الهوى ... وأفصح عما قد حوته المشارع
أقصّ حديثا تم لي عن بدايتي ... لنحو انتهائي علة لك نافع
برزت من النور الإلهي لمعة ... لحكمة ترتيب اقتضتها البدائع

إلى سقف عرش الله في أفق العلا ... ومنه إلى الكونين وهي تسارع
إلى القلم الأعلى ولبى منه مدة ... إلى اللوح لوح الأمر والخلق واسع
إلى المنتهى السامي وقبل مكرما ... نزلت الهيولى وهو للخلق جامع
هناك تلقتني العناصر حكمة ... ومنها أحلتني حماها الطبائع
وأنزلني المقدور في أوج أطلس ... هو الفلك العالي الذرى وهو تاسع
ومنه هبوطي للكواكب نازلا ... على فلك كيوان ثمة سابع
فلما نزلت المشتري وهو سادس ... سماء به للكون في السعد تابع
أتيت سما بهرام من بعدها بطا ... على فلك الشمس والشمس رابع
وبالكرة الزهراء أعني سماءها ... حثثت مطايا السير والدار شاسع
على كاتب الأفلاك وهو عطارد ... وفدت فكانت لي هناك مرابع
فبالقمر الباهي نزلت وشرعت ... على الفلك الناري الأشد شرائع
و منه هواء الأمر في فلك الهوى ... ركائب عزم مالهن موانع
وبالكرة المائية العين إذ سرت ... إضافة ركب العزم فيها البلاقع
وهذا نزول الجسم من عند ربه ... وللروح تنزيل لخلق متابع
وذلك أن الروح في المركب الذي ... لها هي روح الحق فافهم أسامع
فليس لها فيه هبوط منزل ... وليس لها فيه صعود مرافع
وذلك للأرواح أخلق حقيقة ... وذلك تنزيل لها وقواطع
ففي المثل المفروض وجه تنوعت ... سرائره حتى بدا متتابع
فيبرز في حكم المرات إلى الورى ... على الجرم والمقدار إذ ذاك طابع
فتنويعها ذاك التجلي هو الذي ... تسميه روحا وهو بالنفخ واقع
وإلا فلا اسم غير[. . . . .] (١)
[. . . . .] (١) ... وليس له إلا الصفات مواضع
تنزه ربي عن حلول بقدسه ... وحاشاهما بالاتحاد بواقع
ومهما تجد الروح جسما فإنها ... لتصوير ذاك الجسم في الصور تابع
فيتبعها في صورها وارتفاعها ... ويتبعه إن جر يوما طبائع
فمن سبقت لله فيه عناية ... فغير مكوث في التراب يسارع
فإن روفقت بالتزكيات رقت به ... إلى المركز العالي الذي هو رافع
و إن ضعفت واستولت النفس والهوى ... فكن تبعا للجسم إذ قام تابع
فتشقى به في سجن طبع ولو رقت ... به كان مسعودا وفي العز راتع
وإن نزول الجسم للخلق في الثرى ... سواء فما من بعد ذاك تنازع
ومن بعدته السابقات فإنه ... له بين نبت والثريا تراجع
[. . . . .] (١)
تركت لها الأسباب شغلا بحبها ... ووجدا بنار قد حوتها الأضالع
وأشغلني شغلي بها عن شواغلي ... وفيها فإني للعذار مخالع
خلعت عذارى في الهوى وزهدت في ... مكاني وإمكاني وما أنا جامع
وألقيت إنساني فألقيت مهجتي ... وجافيت نومي بل جفتني المضاجع
وسلمت نفسي للصبابة راضيا ... بحكم الهوى تحت المذلة خاضع

وفوّضت أمري في هواها توكلا ... ليقطع في حكمي بما هو قاطع
فأنزلني من أوج عزي ذلة ... فلي بعد رفع الاقتدار تواضع
عنيت فأغناني عنائي بحبها ... وعندي أمان نحوها وضرائع
طرحت على أرض الهوان رئاستي ... لها نعمة طرحا لقدري رافع
لبست لباس الوجد فيها خلاعة ... لباس الهوى في الحب ما أنا خالع
وقد أودعتني تربة الذل والشقا ... وجرد راجي راحل ومودع
ولي في هواها هتكة وتبذذ ... على أن قلبي في هواها مضارع
جعلت اعتقادي في هواها وسيلتي ... فيا ضعف مشفوع له الفقر شافع

---

١) ما بين [] بياض بالأصل.

وجئت إليها راغبا متولها ... ولكن بها مني إليها أسارع
سكنت الفلا مستوحشا عن أنيسها ... ومستأنسا بالوحش هن روائع
أنوح فتشجيني حمام سواجع ... وأبكي فتحكيني غمام هوامع
ولي إن عوى ذيب على فقد إلفه ... زفير له في الخافقين ضرائع
و إن غردت قمرية فوق أيكة ... وجاوب قمري على الأيك ساجع
فإني لآفاتي وتكدير لوعتي ... بتلك الفيافي والظلام أراجع
ولي بمريض الجفن سقم مبرح ... ولي في عصى القلب دمع مطاوع
نحلت من الآلام حتى كأنني ... مقدر مفروض وما هو واقع
فلو نقط الخطاط حرفا لهيكلي ... على سطح لوحي ما رآه مطالع
فجسمي وأسقامي محال وواجب ... ودمعي وخدي أحمر وفواقع
أسائل من لاقيت والدمع سائل ... عن القلب والسكان والقلب جازع
تجارب صبري والكرى فتباينا ... وسالم قلبي الحرق فهو مبائع
و قد قيدت بالنجم أهداب مقلتي ... كما أطلقت عن قيدهن المدامع
وأسقط قدري في الهوى شنعة الهوى ... وعندي أن العز تلك الشنائع
فكم مر بي من كنت أرفع قدره ... كأني له من بعد ذلك واضع
وينكف إن ألقاه بي متطيرا ... وما لي إن حدّثته لي سامع
فما لي في الأحياء إن عشت صاحب ... وما لي حقّا إذ أموت مشائع
ولا لي إن حدثتهم من محادث ... ولا إذ دهاني الخطب فيهم مدافع
كأن لم أكن في الحي أرفع أهله ... مكانا وقدري في المكانة رافع
ذللت إلى أن خلت أني لم أزل ... أذل لهم قدرا فها أنا خاضع
وأحسب أن الأرض تنكف أن ترى ... ولي في ثراها مذهب ومشاع
رعى الله إخوانا رعوا لمودتي ... فهن لقلبي حين كن توابع
نعم وسقى وجد مدى الدهر مؤنسي ... فكم لك يا وجدي على صنائع
فيا زفراتي اصعدي وتنفسي ... فقد هبطت من ضيق جفني المدامع
ويا كبدي في الحب ذوبي صبابة ... ويا كمدي دم إنني بك يانع
ويا جسدي هل فيك من رمق فما ... أراك سوى بالوهم عندي طالع

ويا مهجتي الرسم منك قد اندرس ... ويا باطل الأحشاء لجعك صادع
ويا جفني المقروح قد فني الدما ... ويا قلبي المجروح هل أنت فازع
ويا ذاتي المعدوم هل لك بعثة ... ويا صبري المهزوم هل أنت راجع
ويا خفقان القلب زدني كآبة ... وبنار وجدي قد منين أضالع
ويا نفسي الحراء موتي تلفها ... فما لك في ذنب المحبة شافع
ويا روحي المبعوث صبرا على البلا ... ويا عقلي المسلوب هل أنت راجع
ويا ما بقي في الوهم مني وجوده ... عدمتك شيئا وقعه متمانع
ويا مسقمي زدني أسى وتبددا ... فليس لسقمي غير صبري نافع
ويا عاذلي كم تعذلني وإن أكن ... إلى العذل أصغى فللذكر سامع
ويا قاضيا في الحب يقضي بعدله ... تحكم بجور إنني لك طائع
جعلت وجودي ما يمن لها به ... وإن وجودي مكرة وخدائع
فمن مصر أرضي قد خرجت المدين الـ ... علي وشعيب القلب فيه صرائع
تلاقيت بنتي عادتي وطبائعي ... يذودان أغنامي ومائي نابع
سقيت من الماء الغنيم غنائمها ... ومن رعى زهر العلم هن شوابع
وجاء على استحياء ذاتي بربها ... بتوحيدها إحداهما وتسارع
فلما تزوجت الحقيقة صنتها ... وأمهرها مني حماة شرائع
صعدت معالي طور قلبي مناديا ... لربي حتى أن بدت لي لوامع
وخلفت أهلي وهي نفسي تركتها ... وجئت إلى النار التي هي ساطع
فناداني التوحيد نعليك دعهما ... فها أنا ذا للروح والجسم خالع
وكلمني التحقيق من شجر الحشا ... بأني بالوادي المقدس راتع
وسرت بعقلي أي فتاي وحوته ... إلى مجمع البحرين والعقل تابع
هناك نسيت الحوت وهو أنيتي ... فسبح في بحر الحقيقة شارع
على أثري ارتديت حتى وجدتني ... هو الأصل إذ نفس أنا وهو طالع
فلما تعارفنا ولم يبق نكرة ... أردت اتباعا كي يفوز المتابع
فأخرق في بحر الإله سفينتي ... ونحر غلام الشرك إذ هو خادع
وجاء بلاد الله قوية غزة ... وفيها لقلبي منجع ومخادع
أردنا ضيافات أبوا أن يضيفوا ... لمسدل في وجه البدور طوالع
هناك جدار الشرع خضرى أقامه ... لئلا ترى بالعين تلك الشوارع
فإن فهمت أحشاك ما قلت مجملًا ... وإلا فبالتفصيل ما أنا واضع
وإني على تنزيه ربي لقائل ... بأوصافه عني لخفي صادع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه ... أنا الذات والوصف الذي هو تابع
فأحوى بذاتي ما علمت حقيقة ... ونوري فيها قد أضاء فلامع
وبسمع تسبيح الصوامت مسمعي ... وإني لأسرار الصدور أطالع
وأعلم ما قد كان في زمن مضى ... وحالا وأدري ما أفاد مضارع

ولو خطرت في أسود الليل نملة ... على صخرة صماء إني طالع
أعدى الثرى رملا مثاقيل ذرة ... وأحصى عديد القطر وهي هوامع
وأحكم موج البحر وسط حطيمها ... عيارا ومقدارا وما هو واقع
وأنظر تحقيقا بعيني محققا ... قصور جنان الخلد وهي قلائع
وأتقن علما بالإحاطة جملة ... لأوراق أشجار هناك أيانع
وكل طباق في الجحيم عرفتها ... وأعرف أهليها ومن يك واضع
وأنواع تعذيب هناك علمتها ... وأهوالها طرّا وهن فظائع
وأملاكها حقّا عرفت ولم يكن ... على بخاف من أنا له واضع
وكل عذاب ثم ذقت ولم أبل ... أأخشى وإني للمقامين واضع
وكل نعيم إني لمنعم به ... وهو لي ملك وما ثم رادع
وكل عليم في البرية إنه ... كقطرة ماء من بحارى دافع
وكل حكيم كان أو هو كائن ... فمن نوري الوضاح في الخلق لامع
وكل عزيز بالتجبر قاهر ... ببطش اقتداري في البرية قامع
وكل هدى في العالمين فإنه ... هداي ومالي في الوجود منازع
أصور مهما شئت من عدم كما ... أقدر مهما شئت فهو مطاوع
وأفنى إذا شئت الأنام بلمحة ... وأحيي بلفظي من حوته البلاقع
وأجمع ذرات الرسوم من الثرى ... وأنشى كما كانت وإني بادع
وفي البحر لو نادى باسمي حوته ... أجبت وإني للمناجين سامع
وفي البر لوهب الرياح على الثرى ... أحيط وأحصى ما حوته البلاقع
وخلف معالي قاف لو يستغيث بي ... مغاث فإني ثم للضر دافع
وأقلب أعيان الجبال فلو أقل ... لها ذهبا كوني فهن فوافع

٨٥ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

وأجرى إذا شئت السفائن في الثرى ... وفي البحر لو أبغي المطي تسارع
وأن طباق العرش تحت قوائم ... ورجلي على الكرسي ثمة رافع
وبيتي بسقف العرش حاشاي ليس لي ... مكان ومن فيضي خلقن المواضع
وسدرة أوج المنتهى لي موطىء ... وغاية غايات الكمال مصارع
وكل معاش الخلق تجريه راحتي ... لراحتهم جودا ولست أصانع
وفي كل جزء من تراكيب هيكلي ... لو سعى والكرسي والعرش ضائع
فلا فلك إلا وتحويه قدرتي ... ولا ملك إلا لحكمي طائع
وأمحو لما قد كان في اللوح ثابتا ... فتثبت إذ وقعت ثم وقائع
وإني على هذا عن الكل فارغ ... وليس به لي همة وتنازع
ووصفي حقّا فوق ما قد وصفته ... وحاشاي من حصر ولا لي قاطع
وإني على مقدار فهمك واضع ... وإلا فلي من بعد ذاك بدائع

وثم أمور ليس يمكن كشفها ... بها قلدتني عقدهن شرائع
قفوت بها آثار أحمد تابعا ... فأعجب بمتبوع وها هو تابع
بنى له فوق المكانة رتبة ... ومن عينه للناهلين منابع
عليه سلام الله مني وإنما ... سلامي على نفسي النفيسة واقع
ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به
على الأولياء ألقيت سري وبرهاني ... فهاموا به في سر سري وإعلاني
فأسكرهم كأسي فهاموا بخمرتي ... سكارى حيارى من وجودي وعرفاني
أنا كنت قبل القبل قطبا مبجلا ... تطوف بي الأكوان والرب أسماني
خرقت جميع الحجب حتى وصلته ... مقاما به قد كان جدي له داني
وقد كشف الأستا عن نور وجهه ... ومن خمرة التوحيد بالكأس أسقاني
نظرت إلى المحفوظ والعرش نظرة ... فلاحت لي الأنوار والرب أعطاني
أنا قطب أقطاب الوجود بأسرها ... أنا بازهم والكل يدعى بغلماني
ولو أنني ألقيت سري لدجلة ... لغارت وراح الماء في سر إعلاني
ولو أنني ألقيت سري إلى لظى ... لأخمدت النيران من عظم سلطاني
ولو أنني لقيت سري لميت ... لقام بإذن الله في الحال ناداني

٨٦ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

سلوا عني السرى سلوا عني المنا ... سلوا عني القاضي سلوا عني الداني
سلوا عني العلا سلوا عني الثرى ... وما كان تحت التحت والإنس والجان
فيا معشر الأقطاب هلموا لحضرتي ... وطوفوا بحاناتي واسعوا لأركاني
وغوصوا بحارى تظفروا بجواهري ... وتبرى وياقوتي ودرى ومرجاني
وقفت على الإنجيل جمعا شرحته ... أخي ورفيقي كان موسى بن عمران
وحليت رمزا كان عيسى بحله ... به كأن يحيي الموتى والرمز سرياني
وخضت بحار العلم من قبل نشأتي ... وفككت في التوراة رمزة عبراني
فمن في رجال الله نال مكانتي ... وجدي رسول الله في الأصل رباني
ووالدتي الزهراء بنت محمد ... أبوها رسول الخلق عزّ بهم شاني
أنا الكوكب الدرّي أنا شمس خلتها ... أنا الفرد قد ألبست في الحب تيجاني
أنا قادري الوقت عبد القادر ... واسمي محيي الدين والأصل كيلاني
انتهت
وقد زاد في صدرها الشيخ الإمام المنزلي بيتا للترجيع فقال:
صلاتي على المختار من خير عدنان ... سلامي على الجيلاني شيخي وبرهان
ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به
دنوت من المحبوب أعلى المراتب ... فأوهبني بالقرب أزكى المواهب
وتوجني تاجا على خلع الرضى ... بأثنى ملابيس فنلت مآربي

وقلدت تصريف الوجود بأسره ... خليفة بالكرسي أجلست تائبي
ونادمني من غير واسطة وقد ... بدا لي جهرا لا نجاب وحاجب
أنا خادم في حضرة نبوية ... قريب له قربا كقوس حواجب
فوصف جميعي لا يحاط بقدره ... وهزمي لخاني ينثني وهو هائبي
وحكمني كل الدنان وخانها ... فلا ثمل إلا تلاني عاقب
وما شرب العشاق قدما وبعدنا ... من ألحان إلا بعض سؤر مشاربي
سلكت طريقا ليس يسلكه سالك ... وكان حبيبي لي دليلا مصاحبي
خلوت بمن أهوى بغير مزاحم ... فيا حبذا ما طبت لي من مآرب
ولي همّة تعلو على كل همة ... ومطلب عزمي مهلك كل طالب
أنا في الهوى سلطان كل متيم ... لمملكتي في الأرض حنث ركائبي
لواء لوائي في الوجود مخيم ... محقق تملأ الخافقين ذوائبي
نشرت بأعلامي على كل عاشق ... مشارق أرض الله ثم المغارب
وأهل الهوى جندي وحكمي عليهم ... وفي سائر الآفاق سارت مواكبي
وجالت خيولي الأرض شرقا ومغربا ... وفي طولها والعرض دارت نجائبي
أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة ... وجملتهم لي يتبعون مذاهبي
إذا اجتمعوا في جامع العشق جئتهم ... خطيبا أعظهم من بليغ عجائبي
وكلهم بي يقتدون حقيقة ... بعصري وبعدي هكذا كل طالب
قعود جلوس ينظروا تحت منبري ... ويجروا دموعا بالدماء سواكب
وأقدامهم من بعد ذلك راعيا ... إماما لهم بي يقتدي كل راغب
وقد أفلت جميع الشموس وشمسنا ... ليوم اللقا إشراقها في كواكب
وبي وله قبل الوجود وكونه ولي ... قدم قد جال في جذب جاذبي
وهذا مقامي واتصالي بخالقي ... وذكرى لحظي من حبيب الحبائب
محمد المرسول للخلق رحمة ... وجاهد في كفارهم بالقواضب
إمامي رسول الله جدي وقدوتي ... وعاهدني من كفه وهو طالبي
أتاني مرارا قبل عهدي وقال لي ... أنا جدك افخر بي فخرت بخاطب
ولي خيمة خضراء في مشرق لها ... وفي مغرب أطنابها بتراكب
وتنصب في حشر علينا تظلنا ... رجالي وأصحابي بها في مناصب
وما قلت هذا القول فخرا وإنما ... أتى الإذن حتى تعرفون مراتبي
ودقت لي السادات في الأرض والهوى ... طبولا لعزي كم لها ألف ضارب
فبلغ سلامي خير من وطىء الثرى ... وأشرف خلق الله ماش وراكب
انتهت
وقد زاد فيها بعض الفضلاء المريدين بيتا للترجيع والتبرك فقال:
صلاتي على المختار بدر الكواكب ... وآله والأصحاب أهل المناهب

٨٧ ومن نظم الشيخ المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

٨٨ ومن نظمه أيضا رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

ومن نظم الشيخ المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به
رفعت على أعلى الورى أعلامنا ... لما بلغنا في الغرام مرامنا
نحن الملوك على سلاطين الملا ... والكائنات ومن بها خدامنا
فبذلنا للحب نلنا عزة ... وعلى الرؤوس تنقلت أقدامنا
إنا وإن أخر الزمان فإننا ... فقنا الذين تقدموا قدامنا
فبقربنا من قاب قوسين لقد ... رشقت قلوب المنكرين سهامنا
فجمالنا ملأ الوجود وحالنا ... لا يستطاق ولا يفل حسامنا
ضربت طبول العز في ساحاتنا ... وعلى السما شرفا بدت خيامنا
و لأجلنا وجد الزمان وكونه ... والدهر عبد والزمان غلامنا
و لنا الولاية من «ألست بربكم» ... وإمامنا المهدي فهو ختامنا
ثم الصلاة على النبي محمد ... والآل والأصحاب ثم صحابنا

ومن نظمه أيضا رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين
سألتك يا جبار يا سامع الندا ... ويا حاكم احكم في الذي قد تجبرا
فأنت الذي ترجى لدفع مضرتي ... وأنت مغيث من دعاك من الورى
سألتك بالاسم العظيم فمن بغى ... علي امتحنه بالعماء فلا يرى
أجب دعوة المظلوم يشكو مصيبة ... كسير الجناح لا نصير له يرى
فإن لم يقع غيث فما وجه حيلتي ... وأين الفرار من عدو تجورا
فيا عالم النجوى ويا سامع الندا ... ويا مستغاث أهلكن من تجبرا
فكل مصاب يستغاث بمثله ... وإني لا أشكو لغيرك ما جرى
فكيف يخيب من بقلبه قد دعا ... وأمرك في القرآن يتلى على الورى
فأنت المغيث والنصير على العدا ... وقولك حق لا خلال ولا امترا
بطه مع الفرقان والبقرة قبلها ... وسبح مع الأنفال مع سورة البرا
ويس مع حم كل مع النسا ... وبالأنبياء المرسلين ومن قرا
انتهى ما وجد من هاته القصيدة وكنت أعرف أنها أطول من هذا القدر الذي أثبته هنا.

٨٩ ومن نظمه أيضا رضي الله عنه ونفعنا بعلومه

٩٠ وله أيضا رضي الله عنه ونفعنا به وبما جاء آمين

٩١ وله أيضا رضي الله عنه ونفعنا به آمين

ومن نظمه أيضا رضي الله عنه ونفعنا بعلومه
أتطلب أن تكون كثير مال ... ويسمك منك دوما في كل قال
ومن كل النساء ترى ودادا ... تسري به ومن كل الرجال
ويأتيك الغنى وترى سعيدا ... مهايا مكرما من كل وال
وتكفي كل حادثة وضر ... وتبقى آمنا في كل حال
فقل يا حي يا قيوم ألفا ... مكملة على عدد الليالي
بليل أو نهار فإن فيما ... ذكرته يرخص كل غال
وفي ذكراك يا وهاب سر ... ينبيك ما تريد من السؤال
وتكبر عند كل الناس طرًّا ... وتقبض باليمين وبالشمال
فلازم ما ذكرت ولا تدعه ... ففيه تبلغ الرتب العوالي
وله أيضا رضي الله عنه ونفعنا به وبما جاء آمين
أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند محبوبي مقيم ... يناجيه وعندكم لساني
فلا تنظر بطرفك نحو جسمي ... وعد عن التناغم بالمغاني
وغص في بحر ذات الذات تنظر ... معاني ما تبدت للعيان
وأسراري قراءة مبهمات ... مسترة بأرواح المعاني
فمن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت ... له شمس الحقيقة بالتداني
وقال أنا هو الحق الذي لا ... بغير ذاته مر الزمان
وله أيضا رضي الله عنه ونفعنا به آمين
ولما صفا قلبي وطابت سريرتي ... ومني دنا صحوي بفتح البصيرة
شهدت بأن الله مولى الولاية ... وقد من بالتصريف في كل حالة
سقاني ربي من كؤوس شرابه ... فأسكرني حقًّا فهمت بسكرتي
وملكني كل الجنان وما حوى ... وكل ملوك العالمين رعيتي
وفي حالنا فادخل ترى الكأس دائرا ... وما شرب العشاق إلا بقيتي
رفعت على من يدّعي الحب في الهوى ... فقربني المولى وفزت بنظرتي
وجالت خيولي في الأراضي جميعها ... وزفت لي الكاسات من كل وجهة
ودقت لي الرايات في الأرض والسما ... وأهل السما والأرض تعلم سطوتي
وشاوش ملكي سار شرقا ومغربا ... وصرت لأهل الكرب غوثا ورحمة

فمن كان مثلي يدّعي فيكم الهوى ... يطاولني إن كان يقوى لسطوتي
أنا كنت في العليا بنور محمد ... وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة
شربت بكاسات الغرام سلافة ... بها انتعشت روحي وجسمي ومهجتي
وصرت أنا الساقي لمن كان حاضرا ... أدير عليهم كرة بعد كرة
وقمت بباب الله وحدي موحدا ... ونوديت يا جيلاني ادخل لحضرتي
ونوديت يا جيلاني ادخل ولا تخف ... عطيت اللوا من قبل أهل الحقيقة
ذراعي من فوق السموات كلها ... ومن تحت بطن الحوت مديت راحتي
وأعلم نبت الأرض كم من نباته ... وأعلم رمل الأرض كم هو رملة
وأعلم علم الله أحصى حروفه ... وأعلم موج البحر كم هو موجة
وما قلت هذا القول فخر وإنما ... أتى الإذن حتى تعرفون حقيقتي
وما قلت حتى قيل لي قل ولا تخف ... فأنت ولي في مقام الولاية
أنا كنت مع نوح بأعلى سفينة ... بحارا وطوفانا على كف قدرتي
وكنت وإبراهيم ملقى بناره ... وما برد النيران إلا بدعوتي
وكنت مع إسماعيل في الذبح شاهدا ... وليس نزول الكبش إلا بفتيتي
وكنت مع يعقوب في غشو عينه ... وما برئت عيناه إلا بتفلتي
وكنت وموسى في مناجاة ربه ... وموسى عصاه من عصاي استمدت
وكنت مع عيسى وفي المهد ناطقا ... وأعطيت داودا حلاوة نغمتي
أنا كنت مع أيوب في زمن البلا ... وما برئت بلواه إلا بدعوتي
ولي نشأة في الحب من قبل آدم ... وسرى سري في الكون من قبل نشأتي
أنا الذاكر المذكور وذكر الذاكر ... أنا الشاكر المشكور شكر بنعمة

٩٢ ومن نظمه رضي الله عنه وأرضاه وهدانا بهداه

أنا العاشق المعشوق في كل مضمر ... أنا السامع المسموع في كل نغمة
أنا الواحد الفرد الكبير بذاته ... أنا الواصف الموصوف علم الطريقة
ملكت بلاد الله شرقا ومغربا ... وإن شئت أفنيت الأنام بلحظتي
وقالوا فأنت القطب قلت مشاهدا ... وتال كتاب الله في كل ساعة
وناظر ما في اللوح من كل آية ... وما قد رأيت من شهود بمقلتي
فمن كان يهوانا يجي لمحلنا ... ويدخل حمى السادات يلق الغنيمة
فلا عالم إلا بعلمي عامل ... ولا سالك إلا بفرضي وسنتي
وقالوا أيا هذا تركت صلاتك ... ولم يعلموا أني أصلي بمكة
ولا مسجد إلا ولي فيه ركعة ... ولا منبر إلا ولي فيه خطبة
ولو لا رسول الله بالعهد سابق ... لأغلقت أبواب الجحيم بعظمتي
مريدي لك البشرى تكون على الوفا ... إذا كنت في ضيق فتنجو بهمتي
مريدي تمسك بي وكن بي واثقا ... فأحميك في الدنيا ويوم القيامة

أنا لمريدي حافظ ما يخافه ... وأحرسه من كل شر بلية
وكن يا مريدي حافظا لعهودنا ... أكن حاضر الميزان يوم القيامة
وإن شحت الميزان والله أنالها ... فعنى عنايات بلطف الحقيقة
حوائجكم مقضية غير أنني ... أريدكم تمشوا الطريق الحميدة
وأوصيكم كسر النفوس فإنها ... مراتب عز عند أهل الطريقة
ومن حدثته نفسه بتكبر ... تجده صغيرا في عيون الأقلة
ومن كان في حالاته متواضعا ... مع الله عزته جميع البرية
فجدي رسول الله طه محمد ... أنا عبد قادر وشيخ الطريقة
واعلم بأن البيت الأول منها لم يعرف في أول القصيدة عند أهل الطريقة رضوان الله عليهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين.
ومن نظمه رضي الله عنه وأرضاه وهدانا بهداه
نظرت بعين الفكر في حان حضرتي ... حبيبا تجلى للقلوب فجنتي
سقاني بكأس من مدامة حبه ... فكان من الساقي خماري وسكرتي
ينادمني في كل يوم وليلة ... ولا زال يرعاني بعين العناية
ضريحي بيت الله من جاء زاره ... بهرولة يحظي بعز ورفعة
وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن ... وكل بأمر الله حكمي وقدرتي
فأصبحت بالوادي المقدس جالسا ... على طور سينا قد سموت بخلوتي
وطافت بي الأكوان من كل جانب ... فصرت لها أهلا بتحقيق نسبتي
ولي علم في ذروة المجد قائم ... رفيع البنا تأوى له كل أمة
فلا علم إلا من بحار وردتها ... ولا نقل من صحيح روايتي
على الدرة البيضاء كان اجتماعنا ... وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة
وعاينت إسرافيل واللوح والرضا ... وشاهدت أنوار الجلال بنظرتي
وشاهدت ما فوق السموات كلها ... كذا العرش والكرسي في طي قبضتي
وكل بلاد الله، ملكي حقيقة ... وأقطابها من تحت حكمي وطاعتي
وجودي سري في سرسر الحقيقة ... ومرتبتي فاقت على كل رتبة
كرى جلا الأبصار بعد غشائها ... وأحيا فؤاد الصب بعد القطيعة
حفظت جميع العلم صرت طرازه ... على خلعة التشريف في حسن خلوتي
قطعت جميع الحجب للحب صاعدا ... ولا زلت أرقى سائرا بمحبتي
تجلّى لي الساقي وقال إلى قم ... فهذا شراب الحب في حان حضرتي
تقدم ولا تخش كشفنا حجابنا ... تجلى بحاني والشراب ورؤيتي
شطحت بها شرقا وغربا وقبلة ... وبرّا وبحرا من نفسائس خمرتي
فلاحت لي الأسرار من كل جانب ... وبانت لي الأنوار من كل وجهة
وشاهدت معنى لو بدا كشف سره ... لصم الجبال الراسيات لدكت
ومطلع شمس الأفق ثم مغيبها ... وأقطع أرض الله في حال خطوتي
قلبها في راحتي ككورة ... أطوف بها جمعا كأسرع لمحة
أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة ... على سائر الأقطاب قولي وحرمتي

توسل بنا في كل هول وشدة ... أغيثك في الأشياء طرّا بهمتي
أنا لمريدي حافظ ما يخافه ... وأحرسه من كل شر وفتنة
مريدي إذا ما كان شرقا ومغربا ... أغثه إذا ما سار في أي بلدة
فيا منشدا للنظم قله ولا تخف ... فإنك محروس بعين العنا
وكن قادري الوقت لله مخلصا ... تعش سعيدا صادقا بمحبتي
وثني صلاة الله ثم سلامه ... على خير خلق الله جدي ونسبتي

٩٣ قصيدة الغوثية

هذه القصيدة المباركة المنسوبة: القطب الرباني والغوث الصمداني سيدنا السيد عبد القادر الجيلاني قدّس سرّه، مشهور اسمها عند العوام بالقصيدة الغوثية وعند الخواص بالخمرية أنشدها حضرة الشيخ في حالة الجذبة والاستغراق، وخواصها كثيرة
منها أن من داوم على قراءتها كل يوم إحدى عشرة مرة يصير مقبولا عند الله تعالى ومحبوبا عند الخلق.
ومنها أن من جعلها من أوراده تزيد فيه قوة الحفظ فلا ينسى ما قرأ أو سمع.
ومنها أن من قرأ يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها.
ومنها أن من قرأها أربعين يوما لأي حاجة كانت فلا يتم الأربعون إلا وقد قضيت حاجته بإذن الله تعالى.
ومنها من حملها معه وقرأها كل يوم ثلاث مرات أو سمعها من غيره ونظر إليها كل صباح مع حسن الاعتقاد يرى إن شاء الله تعالى في منامه صاحبها أعني غوث الثقلين ويتبرك بزيارته وكلامه، ويكون معظما عند الأمراء والملوك.
ومنها أن بركاتها عامة فبأي نية يقرؤها التالي يحصل مراده مع الاعتقاد الصحيح، وكلما أراد أن يقرأها بهدي أولا فاتحة الكتاب لصاحبها قطب الغوث ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات بهذه الصيغة الجليلة وهي: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد معدن الجود والكرم ومنبع العلم والحلم والحكم، وبارك وسلم.
والقصيدة المذكورة هي هذه
سقاني الحب كاسات الوصال ... فقلت لخمرتي نحوي تعالي
سعت ومشت لنحوي في كؤوس ... فهمت بسكرتي بين الموالي
وقلت لسائر الأقطاب لموا ... بحاني وادخلوا أنتم رجالي
وهيموا واشربوا أنتم جنودي ... فساقي القوم بالوافي ملالي
شربتم فضلتي من بعد سكري ... ولا نلتم علوي واتصالي
مقامكم العلا جمعا ولكن ... مقامي فوقكم ما زال عالي
أنا في حضرة التقريب وحدي ... يصرفني وحسبي ذو الجلال

٩٤ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به هاته القصيدة

أنا البازي أشهب كل شيخ ... ومن ذا في الرجال أعطي مثالي
درست العلم حتى صرت قطبا ... ونلت السعد من مولى الموالي
كساني خلعة بطراز عز ... وتوجني بتيجان الكمال
وأطلعني على سر قديم ... وقلدني وأعطاني سؤالي

طبول في السما والأرض دقت ... وشاويش السعادة قد بدا لي
أنا الحسني والمخدع مقامي ... وأقدامي على عنق الرجال
وولاني على الأقطاب جمعا ... فحكمي نافذ في كل حال
نظرت إلى بلاد الله جمعا ... كخردلة على حكم اتصال
فلو ألقيت سري فوق نار ... لخمدت وانطفت من سر حالي
ولو ألقيت سري فوق ميت ... لقام بقدرة المولى مشالي
ولو ألقيت سري في جبال ... لدكت واختفت بين الرمال
ولو ألقيت سري في بحار ... لصار الكل غورا في الزوال
وما منها شهور أو دهور ... تمر وتنقضي إلا أتى لي
وتخبرني بما يأتي وهو يجري ... وتعلمني فأقصر عن جدالي
بلاد الله ملكي تحت حكمي ... ووقتي قبل قلبي قد صفا لي
مريدي لا تخف واش فإني ... عزوم قاتل عند القتال
مريدي لا تخف الله ربي ... عطاني رفعة نلت المعالي
مريدي هم وطب واشطح وغنى ... وافعل ما تشا فالاسم عالي
وكل وليّ له قدم وإني ... على قدم النبي بدر الكمال
أنا الجبلي محيي الدين اسمي ... وأعلامي على رأس الجبال
وعبد القادر المشهور اسمي ... وجدي صاحب العين الكمال

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به هاته القصيدة روي أنها مجرّبة لقضاء الحوائج وتفريج الكروب:

يا من تحل بذكره ... عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى ... وإليه أمر الخلق عائد

٩٥ ومن نظمه أيضا رضي الله عنه ونفعنا به آمين

يا حي يا قيوم يا ... صمد تنزه عن مضادد
أنت العليم بما بليـ ... ـت به وأنت عليه شاهد
أنت المنزّه يا بديـ ... ـع الخلق عن ولد ووالد
أنت الرقيب على العبا ... د وأنت في الملكوت واحد
أنت المعزّ لمن أطا ... عك والمذل لكل جاحد
إني دعوتك والهمو ... م جيوشها قلبي تطارد
فرّج بحولك كربتي ... يا من له حسن العوائد
أنت الميسّر المسبـ ... ـب والمسهّل والمساعد
يسّر لنا فرجا قريبا ... يا إلهي لا تباعد
نخفيّ لطفك يستعا ... ن به على الزمن المعاند
كن راحمي فلقد أيسـ ... ـت من الأقارب والأباعد

و على العدا كن ناصري ... لا تشمتن بي الحواسد
ثم الصلاة على النبي ... وآله الغر الأماجد
ما جنّ ليل أو سجى ... أو خرّ للرحمن ساجد
ومن نظمه أيضا رضي الله عنه ونفعنا به آمين
طف بحاني سبعا ولذ بذمامي ... وتجرد لزورتي كل عام
أنا سر الأسرار من سر سري ... كعبتي راحتي وبسطي مدامي
أنا نشر العلوم والدرس شغلي ... أنا شيخ الورى وكل إمام
أنا في مجلسي نرى العرش حقّا ... وجميع الأملاك فيه قيام
قالت الأوليا جميعا بعزم ... أنت قطب على جميع الأنام
قلت كفّوا ثم اسمعوا نص قولي ... إنما القطب خادمي وغلامي
كل قطب يطوف بالبيت سبعا ... وأنا البيت طائف بخيامي
كشف الحجب والستور لعيني ... ودعاني لحضرة ومقامي
فاخترقت الستور جمعا لحبي ... عند عرش الإله كان مقامي
وكساني بتاج تشريف عز ... وطراز وخلعة باختتام
فرس العزّ تحت سرج جوادي ... ووكابي عال وغمدت محامي
وإذا ما جذبت قوس مرامي ... كان نار الجحيم منها سهامي

٩٦ ومن نظمه أيضا رضي الله عنه

٩٧ ومن كلام بعض محبّيه فيه رضي الله عنه

سائر الأرض كلها تحت حكمي ... وهي في قبضتي كفرخ الحمام
مطلع الشمس ثم أقصى الغروب ... خطوتي وأقلها باهتمام
أمر يدي لك الهنا بدوام عيـ ... ـش عز ورفعة واحترام
ومريدي إذا دعاني بشرق ... أو بغرب أو نازل بحر طام
فأغثه لو كان فوق هواء ... أنا سيف القضا لكل خصام
أنا في الحشر شافع لمريدي ... عند ربي فلا يرد كلامي
أنا شيخ وصالح وولي ... أنا قطب وقدوة للأنام
أنا عبد لقادر طاب وقتي ... جدي المصطفى شفيع الأنام
فعليه الصلاة في كل وقت ... وعلى آله بطول الدوام
ومن نظمه أيضا رضي الله عنه
ما في الصبابة منهل مستعذب ... إلا ولي فيه الألذّ الأطيب
أوفا الوصال مكانة مخصوصة ... إلا ومنزلتي أعز وأقرب
وهبت لي الأيام رونق صفوها ... فحلت مناهلها وطاب المشرب
وغدوت مخطوبا لكل كريمة ... لا يهتدى فيها اللبيب فيخطب

أنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهب
قوم لهم في كل مجد رتبة ... علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الأفراح أملا دوحها ... طربا وفي العلياء باز أشهب
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتي ... طوعا ومهما رمته لا يعزب
أصبحت لا أملا ولا أمنية ... أرجو ولا موعودة أترقب
ما زلت أرتع في ميادين الرضا ... حتى وهبت مكانة لا توهب
أضحى الزمان كحلة مرقومة ... تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفلت شموس الأولين وشمسنا ... أبدا على فلك العلى لا تغرب
ومن كلام بعض محبّيه فيه رضي الله عنه
بك الشهور تهنى والمواقيت ... يا من بألفاظه تعلو اليواقيت
الباز أنت فإن تفخر فلا عجب ... وسائر الناس في عيني فواخيت
أشم من قدميك الصدق مجتهدا ... لأنه قدم في نعله الصيت

٩٨ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

٩٩ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

١٠٠ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به
إذا ضاق حالي اشتكيت لخالقي ... قدير على تيسير كل عسير
فما بين إطباق الجفون وحلها ... انجبار كسير وانفكاك أسير
أيظلمني دهري وأنت وسيلتي ... وأشكو من الأسوا وأنت مجيري
وأظما وأنت العذب في كل مورد ... وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعار على حامي الحمى وهو قادر ... إذا ضاع في البيدا عقال بعير
ولا حامي المملوك إلا أميرة ... فها أنا مملوك وأنت أميري
ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به
سقاني حبيبي من شراب ذوي المجد ... فأسكرني حقّا فغبت على وجدي
وأجلسني في قاب قوسين سيدي ... على منبر التخصيص في حضرة المجد
حضرت مع الأقطاب في حضرة اللقا ... فغبت به عنهم وشاهدته وحدي
فما شرب العشاق إلا بقيتي ... وفضلة كاسات بها شربوا بعدي
ولو شربوا ما قد شربت وعاينوا ... من الحضرة العليا شراب ذوي الود
لأمسوا سكارى قبل أن يقربوا لها ... وأمسوا حيارى من مصادمة الورد
أنا البدر في الدنيا وغيري كواكب ... وكل فتى يهوي فذالكم عبدي
وبحري محيط بالبحار بأسرها ... وعلمي حدي ما كان قبلي وما بعدي

سرى له الأسرار نزجر في الدجا ... كزجر سحاب الأفق من ملك الرعد
فإن شئت أن تحظى بعز وقربة ... فداوم على حبي وحافظ على عهدي

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

رفع الحجاب عن بدور الكمال ... مرحبا مرحبا بأهل الجمال
ملكوا بحبهم ورضوا بي ... عبد رق فسدت بين الموالي
فرحوني بصرف راح هواهم ... فتربيت في حجور الدلال

١٠١ ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

عاملوني بلطفهم في غرامي ... فخلا في بصائر الناس حالي
إن أرادوا الصدود يفنى وجودي ... رحموني وأنعموا بالوصال
وإن ضللت عنهم هدوني ... هكذا هكذا تكون الموالي
سادتي سادتي بحقي عليكم ... إنني عندكم عزيز وغالي
ما بقا لي حبيب قلب سواكم ... مات وهمي بكم وبان خيالي
بحياتي عليكم يا سقاتي ... روقوا الكاس إن حبي ملالي
وأديروا الكؤوس بين الندامى ... فجميع الأنام سكري بحالي

ومن النظم المنسوب إليه رضي الله عنه ونفعنا به

أيا نفحة الألطاف من لطف ربنا ... ويا سرعة اليسر المشتت للعسر
ويا رحمة المولى السماوية التي ... تهب هبوب الريح من حيث لا أدري
إغاثة ملهوف أردت بحاله ... نوائب لا تخفاك يا عالم السر
ولما دهاني الحال واشتد خطبه ... شكرت إلى رحماك يا رب من ضر
فمن ذا الذي أرجو سواك لفاقتي ... وضعفي تداركني بلطفك في الأمر
فعجّل وسارع يا سريع بحل ما ... تضايق بي يا واسع الفضل والبر
فأنت القريب المستجيب لمن دعا ... غني كريم دائم العفو واليسر
تمّ بحمد الله تعالى وفضله وصلّى الله على سيّدنا محمد وسلّم تسليما كثيرا

١٠٢ فهرس المحتويات